

نظير الحاشية

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه وإن كان

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هـ

الجزء الثاني

الناشر
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٦٧ — سورة الملك

(مكية وهي ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٧ الملك

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

٦٧ الملك

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

(سورة الملك مكية وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر وآياتها ثلاثون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذي بيده الملك) البركة والثناء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للبالغة في ذلك فإن ما لا يتصور نسبته إليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه إنما تنسب إليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغ حينئذ يجوز أن تكون لإفادة ثناء تلك الخيرات وازديادها شيئاً فشيئاً وأنا فأننا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالدلالة على غاية الكمال وإثباتها عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعل الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى في كل الأمور (وهو على كل شيء) من الأشياء (قدير) مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررلة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكة تعالى في جلال الأمور ودقانها وقوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) شروع في تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه في حكم الشهادة بتعالیه تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمضى خلقه حينئذ تقديره أو إزالة الحياة وأياً ما كان فالأقرب أن المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) فإن استدعاء ملاحظتهما لإحسان العمل بما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن

فُطُورٍ ﴿٦٧﴾

٦٧ الملك

أدعى إلى إحسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عوض عن المضاف إليه ليعلمكم معاملة من يحتبركم أيكم أحسن عملاً فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد لإثر ذى أثر وإنما طريقها النظرى التفكير في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الأنفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أى تعقبيه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم إيراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصود الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقق أصل الإيمان والطاعة في الباقيين أيضاً لكمال تماضد الموجبات له وأما الإعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام في سلك الغاية للأفعال الإلهية وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقى إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها ما لا يخفى (وهو العزيز) الغالب الذى لا يفوته من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى ٣ خلق سبع سموات) قيل هو نعت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والأوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وإن كان منقطعاً عنهما إعراباً كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه إليه سبحانه ومع الموصول الثانى في كونه مداراً للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وقوله تعالى (طيباً) صفة لسبع سموات أى مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل إذا خصفتها وصف به المفعول أو مصدر مؤكّد لمحذوف هو صفتها أى طوبقت طيباً وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير * للتعظيم والإشعار بعلة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً وبأن في إبداعها نعماً

ثُمَّ أَرْجَعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٦٧﴾
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

السَّعِيرِ ﴿٦٨﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦٩﴾

إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧٠﴾

جديدة أو استئناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن لنا كيد
النفى أى ماترى فيه شيئاً من تفاوت أى اختلاف وعدم تناسب من القوت فإن كلا من المتفاوتين يفوت
منه بعض ما فى الآخر وقرىء من تفوت ومعناها واحد وقوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور)
متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولاً بأنه لا تفاوت فى خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح
لك ذلك بالمعينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره
فانفطر (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير
كما فى ليك وسعديك أى رجعة بعد رجعة وإن كثرت (ينقلب إليك البصر خاسئاً) أى بعيداً محروماً
من إصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقمامة (وهو حسير) أى
كليل لطول المعادة وكثرة المراجعة وقوله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات
فى غاية الحسن والبهاء إثرياً ببيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها
أى وبالله لقد زيننا أقرب السموات إلى الأرض (بمصابيح) أى بكواكب مضيئة بالليل لإضاءة السرج
من السيارات والثوابت تترامى كأن كلها مركوزة فيها مع أن بعضها فى سائر السموات وما ذاك إلا
لأن كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار فى فهمه الأفكار وطراز فائق تهيم فى دركه الأنظار
(وجعلناها رجوماً للشياطين) وجعلناها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة
من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنوناً ورجوماً بالغيب لشياطين الإنس وهم المنجمون ولا
يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرمى به (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير)
٦ بعد الاحتراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا برههم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرىء
٧ بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم (وبئس المصير) أى جهنم (إذا ألقوا فيها
سمعوا لها) أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله تعالى (شهيقاً) لأنه فى الأصل صفته
فلما قدمت صارت حالاً أى سمعوا كأنها لها شهيقاً أى صوتاً كصوت الحير وهو حسيبها المنكر الفظيع
قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق (وهى تفور) أى والحال أنها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه
وجعل الشهيق لأهلها منهم وعن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يردده قوله تعالى

تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
 قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾
 وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾

٦٧ الملك

٦٧ الملك

٦٧ الملك

- (تكاد تميز) أى تتميز وتنفرد (من الغيظ) أى من شدة الغضب عليهم فإنه صريح فى أنه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظاً وزفيراً فإن هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يقاسونه من العذاب الأليم والجملة إما حال من فاعل تقور أو خبر آخر وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج) استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتفريع ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرة على حسرة (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم أيضاً (قالوا) اعترافاً بأنه تعالى قد أراح علمهم بالكلية (بلى قد جاءنا نذير) جامع بين حرف الجواب ٨ ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجىء النذير وتحسراً على ما فاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيداً لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واعتماً على ذلك أى قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة أو حكماً كأنبياء بنى إسرائيل فإنهم حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيراً من جهته تعالى (وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات إفراطاً فى التكذيب وتمادياً فى النكير (ما نزل الله) على أحد (من شيء) من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليهم (إن أقم) أى ما أقم فى ادعاء أنه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (إلا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتعليقه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتمادياً فى التضليل كما ينبى عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتماً وأما إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر تحقيقى يصار إليه لتحويل ما ارتكبه من الجنايات لاسماخ لاعتباره من جهتهم ولا لإدراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة إجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا إذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما إذا جعل حكاية عن الكل فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز أن يكون الخطاب من كلام الخزانة للكفار على إرادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سبيه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكموه للخزانة فتأمل وكن على الحق المبين (وقالوا) أيضاً معترفين بأنهم لم يكونوا ١٠

٦٧ الملك

فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

٦٧ الملك

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

٦٧ الملك

وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

٦٧ الملك

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

- * من يسمع أو يعقل (لو كنا نسمع) كلاماً (أو نعقل) شيئاً (ما كنا في أصحاب السعير) أى في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الحزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك (فاعترفوا بذنبهم) الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله (فسحقاً) بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد لما لفعل متعد من المزيد بجذف الزوائد كما في قعدك الله أى فأسحقهم الله أى أبعدهم من رحمته سحقاً أى إسحاقاً أو لفعل مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فاسحقوا أى بعدوا سحقاً أى بعداً كما في قول من قال [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال إلا مسحت أو مجلف] أى لم تدع فلم يبق إلا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبأنا نبأنا أحسنًا واللام في قوله تعالى (لأصحاب السعير) للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب (إن الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره (وأسروا قولكم أو أجهروا به) بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى كما في قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في المشركين كانوا يناولون من النبي عليه الصلاة والسلام فيوحي إليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم أسروا ذلك أو أجهروا به فإن الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للإيذان باقتضاهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدر منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السرية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ ما من شيء يجهر به إلا وهو أو مباديه مضمرة في القلب يتعلق به الأسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى (إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى في الصدر والمعنى إنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) ١٤

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ الملك

٦٧ الملك

أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾

٦٧ الملك

أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾

٦٧ الملك

وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

- إنكار ونفي لعدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار والنفي أى ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه إلى مظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوباً والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساع لإخلاء العلم عن المفعول بإجرانه مجرى يعطى ويمنع على معنى ألا يكون عالماً من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ من الإفادة لأن نظم الكلام حينئذ ألا يكون عالماً وهو مبالغ في العلم (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً) لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن ماحقه التقديم إذا أخر لاسيما عند كون المقدم بما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل يتمكن والفاء في قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) لترتيب الأمر على الجعل المذكور أى فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنباهها عن أن يطأه الراكب بقدمه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشى في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله تعالى (وإليه النشور) أى المرجع بعد البعث لا إلى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه (أأمنتم من في السماء) أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى في السماء أى أأمنتم من توعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض) بعدما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيخيبكم فيها كما فعل بقارون وهو يدل اشتغال من من وقيل هو على حذف الجار أى من أن يخسف (فإذا هي تمور) أى تضطرب ذهاباً ومجيئاً على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان (أأمنتم من في السماء) لإضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال إلى التهديد بوجه آخر أى بل أأمنتم من في السماء (أن يرسل عليكم حاصباً) أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحاً فيها حجارة وحصاب كأنها تفلح الحصاب لشدها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة (فستعلمون) عن قريب البتة (كيف نذير) أى إنذارى عند مشاهدتكم للنذير به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرىء فسيعلمون بالياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات إلى الغيبة لإبراز

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٦٧﴾ الملك
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٦٨﴾ الملك
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٦٩﴾ الملك

- * الإعراض عنهم (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم بإزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاظة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى (أولم يروا) أغفلوا ولم ينظروا (إلى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صفن قوادمها صفاً (ويقبضن) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار به على التحرك وهو السر في إثارة يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات (ما يمسكن) في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع (إلا الرحمن) الواسع رحمته كل شيء بأن برأه من على أشكال وخصائص وهياكل للجري في الهواء والجملة مستأنفة أحوال من الضمير في يقبضن (إنه بكل شيء بصير) يعلم كيفية إبداع المبدعات وتدير المصنوعات
- ٢٠ وقوله تعالى (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) تبكيت لهم بنى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكن إلا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما سيأتى من قوله تعالى إن أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معاً خلا أن الاستفهام هناك متوجه إلى نفس المانع وتحققه وهنأ إلى تعيين الناصر لتبكيته يظهر عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة بيل المفيدة للاتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل إلى التبكيته بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل إلى تقدير الهزيمة معها لأن ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كافي قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وإثارة هذا لتحقير المشار إليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الأول إما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو في زعمكم جند لكم ينصركم نصرأ كائنأ من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية بما لا تقرب له أصلاً وقوله تعالى (إن الكافرون إلا في غرور) اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أى ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من التوابع بحفظ آلهتهم لاجفظة تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار في موقع الإضمار لندمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام في قوله تعالى (أم من)
- ٢١

أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ٦٧ الملك
 قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ٦٧ الملك
 قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ٦٧ الملك
 وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ٦٧ الملك

هذا الذي يرزقكم إن أمسك) أى الله عز وجل (رزقه) يأمسك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى (بل لجوا في عتو ونفور) منبىء عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل لآثر تمام التبكيك والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أى عنادوا واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى (أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى) الخ مثل ضرب ٢٢ للشرك والموحد توضيحاً لحالهما وتحقيقاً لشأن مذهبهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وخروهم في مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك الحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فإن تقدم الهمة عليها صورة إنما هو لاقتضاها الصدارة وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمة هل لقليل فهل من يمشى مكباً الخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على وجهه وحقيقته صار ذاكب ودخل في الكب كاقشع الغمام أى صار ذاقشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى إلى المقصد الذى يؤمه (أم من يمشى سويًا) أى قائماً سالماً من الخبط والعتار (على صراط مستقيم) مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الأولى عليه ولا حاجة إلى ذلك فإن الثانية معطوفة على الأولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الأعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكباً هو الذى يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشى سويًا هو الذى يحشر على قدميه إلى الجنة (قل هو الذى أنشأكم) لإنشاء بديعاً (وجعل لكم السمع) لتسمعوا آيات الله وتمثلوا بما فيها من الأوامر والنواهي وتعضوا بمواعظها (والأبصار) لتتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل (والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعون وتجاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة (قليلًا مأتشكرون) أى باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلًا نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى شكرًا قليلًا أو زماناً قليلًا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم في الأرض) ٢٤ أى خلقكم وكثركم فيها لا غيره (وإليه تحشرون) للجزاء لا إلى غيره اشتراكاً واستقلالاً فابنوا أموركم على ذلك (ويقولون) من فرط عتوهم وعنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود كما ينبىء عنه قوله ٢٥ تعالى وإليه تحشرون (إن كنتم صادقين) يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا

٢ - أبى السعود ج ٩

٦٧ الملك

قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦٧﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٦٧﴾ ٦٧ الملك

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ ٦٧ الملك

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٩﴾ ٦٧ الملك

٦٧ الملك

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٧٠﴾

- مشاركين له عليه الصلاة والسلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى
- ٢٦ إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجئ الساعة والحشر فينبوا وقته (قل إنما أعلم) أى العلم بوقته (عند
- * الله) عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل إنما علمها عند ربى (وإنما أنا نذير مبين) أنذركم
- ٢٧ وقوع الموعود لاحالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار والغاء في قوله تعالى (فلما
- رأوه) فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاكم الموعود فرأوه فلما
- رأوه إلى آخر كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقراً عنده إلا أن المقدر هناك أمر واقع مرتب
- * على ما قبله بالغاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى (زلفة) حال
- من مفعول رأوا إما بتقدير المضاف أى ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مردلفاً أو
- * على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه في مكان ذى زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا)
- بأن غشيتها الكدابة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذهمهم بالكفر وتعليل المساءة
- * به (وقيل) توبيخاً لهم وتشديد العذابهم (هذا الذى كنتم به توعدون) أى تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه
- إنكاراً واستهزاء على أنه تفعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لا بعث ولا حشر
- ٢٨ وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد (قل أرأيتم) أى أخبرونى
- * (إن أهلكنى الله) أى أمانتى والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى
- * المؤمنين بالهلاك (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمتنا) بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمة متربصون
- * لإحدى الحسينين (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى لا ينجيكم منه أحد متناً أو بقينا ووضع
- ٢٩ الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به (قل هو الرحمن) أى الذى
- * أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها (آمننا به) وحده لما علمنا أن كل ماسواه إما نعمة أو منعم عليه
- * (وعليه توكلتنا) لا على غيره أصلاً لعلمنا بأن ماعداء كائننا ما كان بمعزل من النفع والضرر (فستعلمون)
- ٣٠ عن قريب البتة (من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية (قل أرأيتم) أى
- * أخبرونى (إن أصبح ماؤكم غوراً) أى غائراً فى الأرض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر

٦٨ - سورة القلم
(مكية وهي اثنتان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٨ القلم

تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

٦٨ القلم

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

وصف به (فمن ياتيكم بماء معين) جار أو ظاهر سهل المأخذ . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنه أحيا ليلة القدر .

- (سورة القلم مكية إلا من آية ١٧ إلى آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى آية ٥٠ فدنية وآياتها اثنتان وخمسون)
- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) بالسكون على الوقف وقرىء بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصباً اذ كراً لفتحاً كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم إن جعل اسماً للحرف مسروداً على نمط التعديد للتحدى بأحد الطريقتين المذكورين في موقعه أو اسماً للسورة منصوباً على الوجه المذكور أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى (والقلم) * للقسم وإن جعل مقسباً به في العطف عليه وأياً ما كان فإن أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر وإن أريد به الجنس فاستحقاق ما في أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحريك كسب الله عز قائله لكنني به فضلاً موجباً لتعظيمه وقرىء بإدغام النون في الواو (وما يسطرون) الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ماموصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر ٢ هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبساً بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه صلى الله عليه وسلم إليه من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه صلى الله عليه وسلم في غاية الغايات القاصية ونهاية

٦٨ القلم

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾

٦٨ القلم

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

٦٨ القلم

فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾

٦٨ القلم

بِأَيِّكُمْ أَلْفَتُونُ ﴿٦﴾

٦٨ القلم

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

٦٨ القلم

فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾

- ٢ النهايات النائية من حصانة العقل ورزانة الرأي (وإن لك) بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم
 ٣ وتحملك لأعباء الرسالة (لأجراً) ثواباً عظيماً لا يقادر قدره (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء
 ٤ غير مجزوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه عطاؤه تعالى بلا توسط (وإنك لعل خلق عظيم)
 لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله
 عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجليلتان
 ٥ معطوفتان على جواب القسم (فستبصر ويصرون) قال ابن عباس رضي الله عنهما فستعلم ويعلمون
 يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الإسلام
 واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيماً معظماً في قلوب العالمين وكونهم أدلة صاغرين قال
 ٦ مقاتل هذا وعيد بعداب يوم بدر (بأيكم المفتون) أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم
 الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم
 بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تريض بأبى جهل بن هشام والوليد
 ٧ ابن المغيرة وأضرهما كقوله تعالى سيعلمون غداً من الكذاب الأشر وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم
 بمن ضل عن سبيله) تعليل لما ينبىء عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيذاً لما
 فيه من الوعد والوعيد أى هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى إلى سعادة الدارين وهام فى تيه
 الضلال متوجهاً إلى ما يفيضه إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضرر
 * بل يحسب الضرر نفعاً فيؤثره والنفع ضرراً فيجره (وهو أعلم بالمهتدين) إلى سبيله الفائزين بكل
 مطلوب الناجين عن كل محذور وم العقلاء المراجعين فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
 ٨ والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى (فلا تطعم المكذبين) لترتيب النهى على
 ما ينبىء عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا

٦٨ القلم

وَدُّوا لَوْ تَدَهْنُ فَيَدَهْنُونَ ﴿٩﴾

٦٨ القلم

وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾

٦٨ القلم

هَمَّازٌ مَشَاءٌ بَنَمِيمٍ ﴿١١﴾

٦٨ القلم

مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ ﴿١٢﴾

٦٨ القلم

عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴿١٣﴾

- تيسر وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهى عن مدهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره صلى الله عليه وسلم استجلاباً لقلوبهم لاعتن طاعتهم كما ينهى عنه قوله تعالى (ودوا لو تدهن) فإنه تعليل للنهى أو الانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للبالغة في الزجر والتنفير أى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور (فيدهنون) أى فهم يدهنون حينئذ * أو فهم الآن يدهنون طمعاً في إدهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب إدهانك ويأباه ماسياتى من بدتهم بالإدهان على إدهانهم أمر محقق لا يناسب إدهاله تحت التمنى وأياً ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الإدهان الذى هو إظهار الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه صلى الله عليه وسلم فالمعتبر بالنسبة إلى ودادتهم هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتبره بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى المفهوم من ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطاف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناسبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولاً لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا إدهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك (ولا تطع كل حلّاف) كثير الخلف في الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر (مهين) حقير الرأى والتدبير (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) مضرب يقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنيمة السعاية (مناع للخير) أى يخيل أو مناع للناس من الخير الذى هو الإيمان والطاعة والإتفاق (معتد) متجاوز في الظلم (أثيم) كثير الآثام * (عتل) جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد من مثالبه (زنيماً) دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلّية فى حلقها وفى قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معاييه وأقبح قبائحها قيل هو الوليد بن المغيرة فإنه كان دعياً فى قرش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة

- ٦٨ القلم أن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾
- ٦٨ القلم إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
- ٦٨ القلم سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾
- ٦٨ القلم إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
- ٦٨ القلم وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾
- ٦٨ القلم فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾

- ١٤ (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تطع أى لا تطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهاً
- ١٥ بالبنين وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهاً بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه بدل أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ أن كان على معنى الآن كان ذا مال كذب بها أو أطيعه لأن كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لا تطع كل خلاف شارطاً يساره لأن إطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة (سنسمه على الخرطوم) بالكي على أكرم مواضعه لغاية إهانتهم وإذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعمله يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة (إنا بلوناهم) أى أهل مكة بالقحط
- * بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بنمرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الأكداس وما أخطأه القمطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات أبوهم قال بنوه
- * إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فخلقوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (إذ أقسموا ليصرمها مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح (ولا يستنون) أى لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث إن مؤداه مؤدى الاستثناء فإن قولك لاخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا
- ١٩ أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستنون حصّة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة (فطاف عليها) أى على الجنة (طائف) بلاء طائف وقرئ طيف (من ربك) مبتدأ من جهة تعالى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير .

٦٨ القلم	فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠
٦٨ القلم	فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٢١
٦٨ القلم	أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ ٢٢
٦٨ القلم	فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ٢٣
٦٨ القلم	أَن لَا يَدْخُلَنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤
٦٨ القلم	وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ٢٥
٦٨ القلم	فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦

- ٢٠ (فأصبحت كالصريم) كالبلستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل
 أى احترقت فأسودت وقيل كالنهار أى يبست وابيضت سمياً بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه
 وقيل الصريم الرمال (فتنادوا) أى نادى بعضهم بعضاً (مصبحين) داخلين فى الصباح (أن اغدوا) ٢١
 أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أى اخرجوا غدة (على حركم) بستانكم *
 وضيعتكم وتعدية الغدو يعلى لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء (إن كنتم صارمين) قاصدين للصريم *
 (فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافة وخنى وخفت وخفد ثلاثتها فى ٢٣
 معنى الكتم ومنه الخفود للخفاش (أن لا يدخلها) أى الجنة (اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة لما ٢٤
 فى التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة
 فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك هنا (وعدوا على حرد قادرين) أى على نكد ٢٥
 لاغير من جازدت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاررت الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن
 يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفهم فعدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على النكد
 والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتمعجوا الحرمان والمسكنة أو وعدوا على محاردة جنتهم
 وذهب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على النكد والحرمان
 مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك أى لم يقدرُوا إلا على حق بعضهم
 لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أى غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين
 عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة (فلما رأوها قالوا) فى بديهة رؤيتهم (إننا لضالون) أى ٢٦
 طريق جنتنا وما هى بها .

٦٨ القلم

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٢٧﴾

٦٨ القلم

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾

٦٨ القلم

قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾

٦٨ القلم

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلُوُمُونَ ﴿٣٠﴾

٦٨ القلم

قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

٦٨ القلم

عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾

٢٧ (بل نحن محرمون) قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضرين عن قولهم الأول أى لسا
 ٢٨ ضالين بل نحن محرمون حرمانا خيرا بجنائنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أى رأيا أو سنا (لم أقل
 لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله تعالى وتنوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا
 على ذلك اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول
 ٢٩ النقمة فمضوه فغيرهم كما ينبي عنه قوله تعالى (قالوا سبحان ربنا إن كنا ظالمين) وقيل المراد بالتسبيح
 ٣٠ الاستثناء لا شترأكما في التعظيم أو لأنه تنزيهه تعالى عن أن يجرى في ملكه ما لا يشاؤه (فأقبل بعضهم
 على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من
 ٣٢، ٣١ سكت راضياً به ومنهم من أنكره (قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا
 * أن يبدلنا) وقرئ بالتشديد أى يعطينا بدلا منها بركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيراً منها إنا إلى
 ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير وإلى لاتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد
 تابوا فأبدلوا خيراً منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنع كما صنع أبونا فدعوا
 الله تعالى وتضرعوا إليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله تعالى أمر جبريل عليه
 السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها برغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها
 وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال
 لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود
 منها كالرجل الأسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد
 كلفني تعباً وعن الحسن رحمه الله تعالى قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيماناً كان ذلك
 منهم أو على حدا يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثر على أنهم تابوا
 وأخلصوا حكاة القشيري .

٦٨ القلم

كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

٦٨ القلم

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٢٣﴾

٦٨ القلم

أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٤﴾

٦٨ القلم

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٥﴾

٦٨ القلم

أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٢٦﴾

٦٨ القلم

إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْيِرُونَ ﴿٢٧﴾

٦٨ القلم

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٢٨﴾

- (كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والالف واللام للعمد أى مثل الذى بلونا ٣٣ به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم وأشد (لو كانوا يعلمون) * أنه أكبر لا حترزوا عما يؤديهم إليه (إن للمتقين) أى من الكفر والمعاصي (عند ربهم) أى فى الآخرة ٣٤ أوفى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها إلا التمتع الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات * وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) تقرير لما قبله من فوز ٣٥ المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما همى فى الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساونا والهزمة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنخيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (ما لكم كيف تحكمون) تعجباً من حكمهم واستبعاداً له وإيداناً بأنه لا يصدر عن عاقل ٣٦ (أم لكم كتاب) نازل من السماء (فيه تدرسون) أى تقرأون (إن لكم فيه لما تخيرون) أى ما تخيرونه ٣٧ ٣٨ وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جرى باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدرس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشيء واختياره أخذ خيره (أم لكم إيمان علينا) أى عهود مؤكدة بالإيمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرنت بالنصب ٣٩ على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (إلى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم إلى يوم القيامة لانخرج عن عهدها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أى إيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها يمين (إن لكم لما تحكمون) جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا إيمان * د ٣ - أبى السعود ج ٩

سَلَّمَهُمْ أَيُّهُمْ يَذَلِّكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٦٨ القلم

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ ٦٨ القلم

يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ٦٨ القلم

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالُونَ ﴿٤٣﴾ ٦٨ القلم

فَقَدَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ ٦٨ القلم

- ٤٠ أم أقسمنا لكم (سلم) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلمهم مبكثاً لهم (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أي قائم يتصدى لتصحيحه (أم لهم شركاء) يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) في دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه في هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شيء يتوهم أن يتشبها به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة (يوم يكشف عن ساق) أي يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم [أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا] وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً وتذكيره للتحويل أو التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ تكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر أي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أي اذكر يوم الخ أو مؤخر أي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الأحوال وعظائم الأحوال ما لا يبلغه الوصف (ويدعون إلى السجود) توبيخاً وتعنيفاً على تركهم إياه في الدنيا وتحسيراً لهم على تفريطهم في ذلك (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم عن ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلاهم أي ترد عظاماً بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلاهم طبعاً واحداً أي فقارة واحدة
- ٤١ (خاشعة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم (ذلة) شديدة (وقد كانوا يدعون إلى السجود) في الدنيا والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير أولان المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف (وهم سالون) متمكنون منه أقوى تمكن أي فلا يجيئون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره (قدرني ومن يكذب بهذا الحديث) أي كله إلى فاني أكفيك أمره أي حسبك في الإيقاع

- وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ٦٨ القلم
- أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ٦٨ القلم
- أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ٦٨ القلم
- فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ٦٨ القلم
- لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ٦٨ القلم
- فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ٦٨ القلم

به والانتقام منه أن تكل أمره إلى وتخلي بيني وبينه فإنى عالم بما يستحقه من العذاب ومطبق له والقاء لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أى وإذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى (سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق لإجمالاً والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فى يكذب باعتبار لفظها أى سنستزهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الإنعام عليهم بل يزعمون أنه إيثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب هلاكهم (وأملى لهم) وأملهم ليزدادوا إثمًا وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم (إن كيدى ٤٥ متين) لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيداً لكونه فى صورة الكيد (أم تسألهم) على الإبلاغ ٤٦ والإرشاد (أجراً) دنوياً (فهم) لأجل ذلك (من مغرم) أى غرامة مالية (مثقلون) مكلفون حملاً * ثقيلاً فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أى اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منهم ما يحكون ويستغنون ٤٧ به عن عليك (فاصبر لحكم ربك) وهو إمهاهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) ٤٨ أى يونس عليه السلام (إذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظاً والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لأعلى النداء فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذا منصوب بمضاف محذوف أى لا يكن حاله وقت ندائه أى لا يوجد منك ما وجد منه من المضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل ٤٩ للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه أى تداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تداركه (لنبد بالعراء) بالأرض الخالية من الأشجار (وهو مذموم) ملئم مطرود من الرحمة والكرامة * وهو حال من مرفوع نبد عليها يعتمد جواب لولا لأنها هى المنتفية لا النبد بالعراء كما مر فى الحال الأولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمراً محذوراً مستتبعا للغائلة وقوله تعالى (فاجتياه ربه) عطف على مقدر أى فتداركته نعمة من ربه فاجتياه بأن رد إليه الوحي وأرسله إلى ٥٠

وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ٦٨ القلم

٦٨ القلم

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

- * مائة ألف أو يزيدون وقيل استنباه إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة (لجعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى . روى أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وإن يكار الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وقرىء ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وإن هي المخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك شراً بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظار إلى نظراً يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيدونك بالعين إذ قد روى أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث أن العين لتدخل الرجل القبر والجل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه (ويقولون) لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنخسة بأحكام الطبائع والتفسير الناس عنه (لأنه لمجنون) وحيث كان مدار حكمهم الباطل ماسمعه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيس (وما هو إلا ذكر للعالمين) على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فإين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسرار طرأ ومحيط بجميع حقائقه خبراً بما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكراً وشرفاً للعالمين لا ريب فيه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم .

٦٩ - سورة الحاقة
(مكية وهي إثنان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحاقة ٦٩

الحاقة ①

الحاقة ٦٩

مَا الْحَاقَّةُ ②

الحاقة ٦٩

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ③

الحاقة ٦٩

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ④

(سورة الحاقة مكية وآياتها إثنان وخمسون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحاقة) أى الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لاحالة أو التى يحق فيها الأمور الحققة من الحساب والثواب والعقاب وألتي تحق فيها الأمور أى تعرف على الحقيقة من حقه يحقه إذا عرف حقيقة جعل الفعل لها ومجازاً وهو لما فيها من الأمور أو لمن فيها من أولى العلم وأياً ما كان مخذف الموصوف للإيذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها (ما الحاقة) إلى أن مامبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول ٢ والأصل ماهى أى أى شىء هى فى حالها وصفتها فإن ماقد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيداً لها هذا ما ذكره فى إعراب هذه الجملة ونظائرهما وقد سبق فى سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبراً لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فطبع كما يفيد كونه ما خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً الحاقة كما يفيد كونه مبتدأ وكون الحاقة خبراً وقوله تعالى (وما أدراك) أى وأى شىء أعلمك (ما الحاقة) تأكيداً لها وفضاعتها ببيان خروجها عن دائرة ٣ علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدهتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الأعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ هنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على إسقاط الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لها كما مر (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحالة ٤ التى تفرع الناس بفنون الأفراع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالذك

٦٩ الحاقة

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥٠﴾

٦٩ الحاقة

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٥١﴾

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُ نَحْلٌ خَاوِيَةٌ ﴿٥٢﴾ ٦٩ الحاقة

٦٩ الحاقة

فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٥٣﴾

٦٩ الحاقة

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٥٤﴾

- والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديداً
 طوها والجملة استئناف مسوق لأعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام لإثبات تقرير أنه ما أدراه
 عليه الصلاة والسلام بها أحد كما في قوله تعالى وما أدراك ما هية نار حامية ونظائره خلا أن المبين هناك
 نفس المسؤول عنها وهنا حال من أحوالها كما في قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من
 ألف شهر فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين هنا هو الحاقة
 وعظم شأنها وكونها بحيث يحق إهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود
 • وعاد فأهلكوا (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة أو الراجفة
 ٦ (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها (عاتية)
 شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله
 ٧ تعالى (سخرها عليهم) الخ استئناف جىء به بياناً لكيفية إهلاكهم بالريح أى سلطها الله عليهم بقدرته
 • القاهرة (سبع ليال وثمانية أيام حسوماً) أى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة
 إذا تابعت بين كيهما أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون
 مصدرأ منتصباً على العلة بمعنى قطعاً أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوماً ويؤيده القراءة
 بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر وإنما سميت عجوزاً لأن
 عجوزاً من عاد توارت فى سرب فانتزعها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر
 الشتاء وأسمائها الصن والصنبر والوبر والأمر والمؤتمر والمعلل ومطنى البحر وقيل ومكنى الظعن
 • (فترى القوم) إن كنت حاضراً حينئذ (فيها) فى مهابها أو فى تلك الليالى والأيام (صرعى) موتى
 ٨ جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أى أصول نخل (خاوية) متأكلة الأجواف (فهل ترى لهم من باقية)
 ٩ أى بقية أو نفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية (وجاء فرعون ومن قبله) أى ومن
 • تقدمه وقرىء ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرىء ومن معه (والمؤتفكات) أى
 • قرى قوم لوط أى أهلها (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعل أو الأفعال ذات الخطأ التى من جملتها تكذيب

٦٩ الحاقة

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾

٦٩ الحاقة

إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾

٦٩ الحاقة

لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾

٦٩ الحاقة

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾

٦٩ الحاقة

وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾

٦٩ الحاقة

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾

- البعث والقيامة (فعصوا رسول ربهم) أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح ١٠
 (فأخذهم) أى الله عز وجل (أخذة رابية) أى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشيء *
 إذا زاد (إنما لما طغى الماء) بسبب إصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومباغتهم فى تكذيبه ١١
 عليه الصلاة والسلام فيما أوحى إليه من الأحكام التى من جملتها أحوال القيامة (حملناكم) أى فى أصلاب *
 آبائكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء إلى انقضاء أيام *
 الطوفان لا مجرد رفعهم إلى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فإنها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو
 حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم جال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه
 تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى إنما السفينة سبب صورى (لنجعلها) أى لنجعل الفعلة ١٢
 التى هى عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع *
 وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته (وتعيا) أى تحفظها والوعى أن تحفظ الشيء فى نفسك والايحاء أن *
 تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرىء تعيا بسكون العين تشبيهاً له بكتف (أذن وعية) أى أذن من *
 شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتسكير للدلالة
 على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجمل الغفير وإدامة نسلهم وقرىء أذن بالتخفيف
 (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها لإثبات عظم شأنها ١٣
 بإهلاك مكذبيها وإنما أسند الفعل إلى المصدر لتقينه وحسن تذكيره للفصل وقرىء نفخة واحدة
 بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التى عندها خراب العالم (وحملت
 الأرض والجبال) أى قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح
 العاصفة (فدكتا دكة واحدة) أى فضربت الجبلتان إثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تندق *
 وترجع كشيء مهيل وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صاففاً لا ترى فيها عوجا ولا
 أمنا من قولهم اندك السنام إذا تفرش وبعير أدك وناق دكاه ومنه الدكان (فيومئذ) حينئذ (وقعت) ١٥

الحاقة ٦٩

وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾

الحاقة ٦٩

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾

الحاقة ٦٩

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

الحاقة ٦٩

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾

- ١٦ الواقعة (أى قامت القيامة) وانشقت السماء (لنزول الملائكة) (فهي) أى السماء (يومئذ واهية) ضعيفة
- ١٧ مسترخية بعد ما كانت محكمة (والملك) أى الخلق المعروف بالملك (على أرجائها) أى جوانبها جمع
- * رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون إلى أكتافها وحافاتها (ويحمل عرش ربك
- * فوقهم) فوق الملائكة الذين هم الأرجاء أو فوق الثمانية (يومئذ ثمانية) من الملائكة عن النبي صلى الله
- عليه وسلم هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى
- ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل
- بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة
- النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الأوعال ما بين أظلالها إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً وعن شهر بن
- حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون
- سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حبلك بعد علك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف
- وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق
- آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء
- العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال وإلا فشؤنه سبحانه أجل من كل ما يحيط به فلك
- ١٨ العبارة والإشارة (يومئذ تعرضون) أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان
- العسكر لتعرف أحوالهم . روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج
- وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه يمينه وإلهالك بشماله وهذا وإن كان بعد
- النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
- * وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفاً للكل (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع
- تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضاً وإنما العرض لإفشاء الحال
- والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء
- ١٩ التحنانية (فأما من أوتى كتابه يمينية) تفصيل لأحكام العرض (فيقول) تبجحاً وابتهاجا (هاؤم اقرؤا
- كتابه) ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات أجودهن هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أو امرأتان
- وهاؤون يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابه مفعول اقرؤا لأنه أقرب العالمين ولأنه

- إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ الحاقة ٦٩
- فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ الحاقة ٦٩
- فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ الحاقة ٦٩
- قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ الحاقة ٦٩
- كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ الحاقة ٦٩
- وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يُبَلِّغُنِي لِرَأْوَتٍ كَتَبِيَّةٍ ﴿٢٥﴾ الحاقة ٦٩
- وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾ الحاقة ٦٩
- يُبَلِّغُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ الحاقة ٦٩

لو كان مفعول هاؤم لقل اقرؤه إذ الأولى إضماره حيث أمكن والهاء فيه وفي حسايه وماليه وسلطانيه
 للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب إثباتها لثباتها في الإمام (إني ظننت أني ملاق ٢٠
 حسايه) أي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للإشعار بأنه لا يقدر في الاعتقاد ما يهجنس في النفس من
 الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالباً (فهو في عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة ٢١
 كما يقال دارع في النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن
 الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (في جنة عالية) مرتفعة المسكان لأنها في السماء أو الدرجات أو الأبنية ٢٢
 والأشجار (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتني بسرعة والقطف بالفتح مصدر (دانية) يتناولها القاعد ٢٣
 (كلوا واشربوا) بإضمار القول والجمع باعتبار المعنى (هنيئاً) أكلاً وشراباً هنيئاً أو هنتم هنيئاً (بما ٢٤
 أسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) أي الماضية في الدنيا وعن مجاهد أيام
 الصيام وروى يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشرية
 وغارت أعينكم وخمست بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية (وأما من أوتي كتابه ٢٥
 بشماله) وأرى مافيه من قبائح الأعمال (فيقول ياليتني لم أوت كتابي) (ولم أدر ما حسايه) لما شاهد ٢٦
 من سوء العاقبة (ياليتها) ياليت المنة التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لأمرى ولم أبعث بعدها ٢٧
 ولم ألق ما ألقى فضمير ليتها للمنة ويجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أي ياليت هذه الحالة كانت
 الموتة التي قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أي

الحاقة ٦٩

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ

الحاقة ٦٩

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ۖ

الحاقة ٦٩

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ

الحاقة ٦٩

ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ ۖ

الحاقة ٦٩

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ

الحاقة ٦٩

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ

الحاقة ٦٩

وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۖ

الحاقة ٦٩

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۖ

الحاقة ٦٩

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غُسْلَيْنِ ۖ

- ٢٨ ياليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حياً (ما أغنى عني ماله) مالى من المال والاتباع على أن
 ٢٩ ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للإنكار أى شئ أغنى عني ما كان لى من اليسار (هلك عني
 سلطانيه) أى ملكى وتسلم على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو تسلم على القوى
 ٣٠ والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات (خذوه) حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لحزنة النار
 ٣١ (فغلوه) أى شدوه بالأغلال (ثم الجحيم صلوه) أى لا تصلوه إلا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون
 ٣٢ الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاضم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها) أى طولها (سبعون ذراعا
 فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطع حراكاً ما وتقديم السلسلة
 كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به و ثم لتفاوت ما بين الغل
 ٣٣ والتصلية وما بينهما وبين السالك فى السلسلة فى الشدة (لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل بطريق الاستئناف
 التحقيق ووصفه تعالى بالعظم للإيدان بأنه المستحق للعظمة فحسب فن نسبها إلى نفسه استحق أعظم
 ٣٤ العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً أن يذل
 من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على
 أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذه قالوا تخصيص الأمرين بالذكر لما أن أقبح العقائد
 ٣٥ الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) أى قريب يحميه ويدفع عنه
 ٣٦ ويحزن عليه لأن أولياءه يتحامونه ويفرون منه (ولا طعام إلا من غسلين) أى من غسالة أهل النار

٦٩ الحاقة	لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾
٦٩ الحاقة	فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾
٦٩ الحاقة	وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾
٦٩ الحاقة	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾
٦٩ الحاقة	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾
٦٩ الحاقة	وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكُرُونَ ﴿٤٢﴾
٦٩ الحاقة	تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾
٦٩ الحاقة	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

وصديدهم فعلمين من الغسل (لا يأكله إلا الخاطئون) أصحاب الخطايا من خطيء الرجل إذا تعدد الذنب ٣٧
 لأمن الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المشركون وقرىء
 الخاطيون بإبدال الهمزة ياء وقرىء بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق إلى الباطل
 ويتعدون حدود الله (فلا أقسم) أى فاقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حملة على معنى نفي الإقسام ٣٨
 لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى (بما تبصرون) (وما لا تبصرون) ٣٩
 كما مر في سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدينا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح
 والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل (إنه) أى القرآن (لقول ٤٠
 رسول) يبلغه عن الله تعالى فإن الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو النبي أو جبريل *
 عليهما السلام (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلًا ما تؤمنون) إيماناً قليلاً تؤمنون (ولا ٤١، ٤٢
 بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة أخرى (قليلًا ما تذكرون) أى تذكرنا قليلاً أو زماناً قليلاً تتذكرون *
 على أن القلة بمعنى النفي أى لا تؤمنون ولا تتذكرون أصلاً قيل ذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر
 مع نفي الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معانيد بخلاف مباينته للكهانة
 فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى
 أقوالهم وأنت خير بأن ذلك أيضاً مما لا يتوقف على تأمل قطعاً وقرىء بالياء فيهما (تنزيل من رب ٤٣
 العالمين) نزله على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) سعى الاقتراء تقولاً ٤٤
 لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً لها كأنها جمع أفعولة من القول كالأصاحيك .

الحاقة ٦٩

لَا خَذَانًا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ④٥

الحاقة ٦٩

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ④٦

الحاقة ٦٩

فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ④٧

الحاقة ٦٩

وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ④٨

الحاقة ٦٩

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ④٩

الحاقة ٦٩

وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ⑤٠

الحاقة ٦٩

وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ⑤١

الحاقة ٦٩

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ⑤٢

٤٦، ٤٥ (لاخذنا منه باليمين) أى يمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لإهلاكه بأفطع ما يفعله الملوك بمن يفضون عليه وهو أن يأخذ القتال يمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم [إذا ماراية رفعت لمجد • تلقاها عراة باليمين] (فما منكم) أيها الناس (من أحد عنه) عن القتل أو المقتول (حاجزين) دافعين وصف لأحد فإنه عام (وإنه) أى ٤٩ وإن القرآن (لتذكرة للمتقين) لأنهم المنتفعون به (وإننا لنعلم أن منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم ٥١، ٥٠ (وإنه لحسرة على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين (وإنه لحق اليقين) الذى لا يحوم حوله ٥٢ ريب ما (فسبح باسم ربك العظيم) أى فسبح بذكر اسمه العظيم تزيهاً له عن الرضا بالتقول عليه وشكراً على ما أوحى إليك . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً .

٧٠- سورة المعارج
(مكية وهي أربع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٠ المعارج

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ①

٧٠ المعارج

لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ②

٧٠ المعارج

مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③

٧٠ المعارج

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④

(سورة المعارج مكية وآياتها أربع وأربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سأل سائل) أى دعا داع (بعذاب واقع) أى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحرث حيث قال إنكاراً واستهزاء إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفاً من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم إن كان مايقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرىء سأل وهو إما من السؤل على لغة قريش فالعنى مامر أو من السيلان ويؤيده أنه قرىء سأل سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه وإما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يومئذ صبراً وقد مر حال الفهرى وإما فى الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أى كائن للكافرين أو صلة لواقع أو متعلق بسأل أى دعا ٢ للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى (ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصسه بالصفة * أو بالعمل أو من الضمير فى الكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف (من الله) متعلق بواقع ٣ أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى (ذى المعارج) ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض (تعرج الملائكة والروح) أى جبريل عليه السلام أفرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلقهم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (إليه) إلى عرشه تعالى وإلى حيث تهبط منه أو امره تعالى وقيل هو من قبيل قول إبراهيم *

٧٠ المارج

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤

٧٠ المارج

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ⑥

٧٠ المارج

وَنَرَهُ قَرِيبًا ⑦

٧٠ المارج

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَمَلِ ⑧

عليه السلام إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني به (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) بما
يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها
من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا
وقيل معناه تخرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أي
يقطعون في يوم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل
بسأل على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته إما لأنه كذلك في الحقيقة أو لشدته
على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأياً ما كان فذلك في حق الكافر وأما في حق
المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول
هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى أنه يكون أخف
من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى (فاصبر صبراً جميلاً) متعلق بسأل لأن السؤال كان
عن استهزاء وتعنّت وتكذيب بالوحي وذلك بما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر
واستبطاء للنصر أو بسأل سائل أو سأل سيل فعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام
٦ (إنهم يرونه) أي العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع (بعيداً) أي يستبعدونه
٧ بطريق الإحالة فلذلك يسألون به (ونراه قريباً) هيناً في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد
٨ والقرب معتبران بالنسبة إلى الإمكان والجملة تعليل للأمر بالصبر وقوله تعالى (يوم تكون السماء كالهمل)
متعلق بقريباً أي يمكن ولا يعتذر في ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أي يوم
تكون السماء كالهمل الخ يكون من الأحوال والأحوال ما لا يوصف أو يدل من في يوم على تقدير
تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الأقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المهود على طريقة
قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما إذ هو المهود بالوقوع
على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى
فاسأل به خير أو قوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله
تعالى فاصبر صبراً جميلاً مترتب عليه وقوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً تعليل للأمر بالصبر كما
ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أي يقع يوم تكون السماء

٧٠ المعارج

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑩

٧٠ المعارج

وَلَا يَسْعَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ⑪

٧٠ المعارج

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ⑫

٧٠ المعارج

وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ⑬

٧٠ المعارج

وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُقْوَاهُ ⑭

٧ المعارج

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑮

٧٠ المعارج

كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْتَ لَطَفٌ ⑯

- كالهمل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت (وتكون الجبال كالهن) كالصوف ٩
المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرايب سود فإذا بست
وطيرت في الجو أشبهت العن المنفوش إذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) أى لا يسأل قريب قريبا ١٠
عن أحواله ولا يكلمه لا بتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرىء على البناء للفعول أى لا يطلب من
حميم حميم أولا يسأل منه حاله (يبصرونهم) أى يبصرون الأحباء والأحباء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من
التساؤل إلا تشاغلهم بحال أنفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كيباض الوجه وسواده والأول
أدخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرىء يبصرونهم والجملة استئناف (يود المجرم) أى
يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ
(بينه) (وصاحبه وأخيه) حكاية لودادتهم ولو فى معنى التنى وقيل هى بمنزلة أن الناصبة فلا يكون ١٢
لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولا ليدود والتقدير يود افتدائه بينه الخ والجملة استئناف
ليبان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلا
أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرىء يومئذ بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن وبتنوين عذاب
ونصب يومئذ واتصا به بعذاب لأنه فى معنى تعذيب (وفصيلته) أى عشيرته التى فصل عنهم (التى تؤويه) ١٣
أى تضمه فى النسب أو عند الشدائد (ومن فى الأرض جميعا) من الثقلين والخلائق ومن للتغليب (ثم
ينجيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الإنجاء يعنى يتمنى لو كان
هو لاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيات (كلا) ردع للمجرم عن الودادة ١٥
وتصريح بامتناع الإنجاء الافتداء وضمير (إنها) إما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو مبهم ترجم عند *

٧٠ المارج

نَزَاعَةً لِلشَّوَى ①٦

٧٠ المارج

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ①٧

٧٠ المارج

وَجَمَعَ فَأَوْعَى ①٨

٧٠ المارج

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ①٩

٧٠ المارج

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ②٠

٧٠ المارج

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ②١

٧٠ المارج

إِلَّا الْمُصْلِينَ ②٢

٧٠ المارج

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ②٣

٧٠ المارج

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ②٤

- ١٦ الخبر الذي هو قوله تعالى (لظى) وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الأطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس وقرىء نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لأن أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره (تدعو) أى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم إلى إلى يا كافر بامنافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبائنها (من أدبر) أى عن الحق (وتولى) أعرض عن الطاعة (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصاً وتأملاً (إن الإنسان خلق هلوعاً) الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسرهُ أحسن تفسير قوله تعالى ٢١، ٢٠ (إذا مسه الشر) أى الفقر والمرض ونحوهما (جزوعاً) أى مبالغاً فى الجزع مكثراً منه (وإذا مسه الخير) أى السعة والصحة (منوعاً) مبالغاً فى المنع والإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعاً والثانية لمنوعاً (إلا المصلين) استثناء للتصفيين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لأنباء نعتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإثارة الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه (الذين هم على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه

- ٧٠ المارج لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٥
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ يَصَّدُقُونَ يَوْمَ الدِّينِ ٢٦
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧
- ٧٠ المارج إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩
- ٧٠ المارج إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠
- ٧٠ المارج فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٣٢
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ٣٣
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٣٤

على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى وإشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة (السائل) ٢٥
الذي يسأله (والمحروم) الذي لا يسأله فيظن أنه غني فيحرم (والذين يصدقون يوم الدين) أي بأعمالهم ٢٦
حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعاً في المثوبة الآخروية بحيث يستدل بذلك على
تصدقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال ٢٧
الفاصلة استقصاراً لها واستعظاماً لجناحه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ورجلة
أنهم إلى ربهم راجعون وقوله تعالى (إن عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد ٢٨
أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة (والذين هم لفروجهم حافظون) (إلا على أزواجهم أو ٣٠، ٢٩
ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) سلف تفسيره في سورة المؤمنين (فمن ابتغى) أي طلب لنفسه (وراء ٣١
ذلك) وراء ما ذكر من الأزواج والمملوكات (فأولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله *
تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشيء من حقوقها (والذين هم بشهاداتهم قانمون) ٣٣، ٣٢
أي مقيمون لها بالعدل لإحياء حقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها
وقرىء لأماناتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي يراعون شرائعها ٣٤
٥٥ - أبي السعود ج ٩،

٧٠ المارج

أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

٧٠ المارج

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾

٧٠ المارج

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّينَ ﴿٣٧﴾

٧٠ المارج

أَيُطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾

٧٠ المارج

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ويكملون فرائضها وسننها ومستجاباتها وأدائها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخرها باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتزليل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال [إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب في المزدحم] إيذاناً بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تنمة للآخر (أولئك) إشارة إلى الموصوفين ٣٥ بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليهم للإيذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره (في جنات) أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى (مكرمون) خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر ٣٦ هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العز وكان كل فرقة تعزى إلى غير من تعزى إليه الأخرى كان المشركون يخلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقاتاً وحلقاتاً وفرقا فرقا ويستهبزون بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلدخلنا قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم ٣٨ أن يدخل جنة نعيم) بلا إيمان (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ (إنا خلقناهم مما يعلمون) قيل هو تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كافي قول الأعشى [أأزمت من آل ليلي ابتكارا * وشطت على ذي هوى أن تزارا] وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يبوأ مبادئ الكاملين فمن أين لهم أن يطعموا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخل الجنة قبلهم وقيل لأنهم مخلوقون من نطفة قدرة لا تناسب عالم القدس فتي لم تستكمل الإيمان والطاعة ولم تتخلق بأخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولا ينجى مافي الكل من التحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سبق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء

٧٠ المارج

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾

٧٠ المارج

عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ مَنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾

٧٠ المارج

فَقَدَرَهُمْ بِخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾

٧٠ المارج

يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفَضُونَ ﴿٤٣﴾

٧٠ المارج

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

واستهزأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلمهم قوما آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه ألفاء الفصيحة في قوله تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) والمعنى ٤٠ إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب (إنا لقادرون) (على ٤١ أن نبدل خيرا منهم) أى نهلكهم بالمرّة حسبما تقتضيه جنائياتهم ونأتى بدلمهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم (وما نحن بمسبوقين) بمقلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبينة على الحكم البالغة اقتضت • تأخير عقوباتهم (فقدرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) فى باطلهم الذى من جملته ما حكى عنهم (ويلعبوا) ٤٢ فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى • كما توهم فإن قوله تعالى (يوم يخرجون من الأجداث) بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للفعول ٤٣ من الإخراج (سراعا) حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين (كأنهم إلى نصب) وهو كل ما نصب • فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وفتح النون وسكون الصاد أيضاً (يوفضون) يسرعون • (خاشعة أبصارهم) وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها (ترهقهم ٤٤ ذلة) تغشاهم ذلة شديدة (ذلك) الذى ذكر ماسبق فيه من الأحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

٧١ - سورة نوح عليه السلام
(مكية وهي ثمان عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ٧١ نوح

قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ ٧١ نوح

إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٧١ نوح

يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ٧١ نوح

(سورة نوح عليه السلام مكية وآياتها ثمان وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) أى بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وإن مطرد وجعلت صلتها أمراً كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختص بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمال الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهى والمضى والمستقبل كأنه قيل أرسلناه بالإنذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما فى الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى * كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول (من قبل أن يأتهم عذاب أليم) عاجل أو
- ٢ أجل لثلاثين لثم عذر ما أصلا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل ما فعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم (يا قوم إنى لكم نذير مبين)
- ٣ منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى (أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعوا) متعلق بنذير على الوجهين
- ٤ المذكورين (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فإن الإسلام يجه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) هو الأمد الأقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم إليه

٧١ نوح

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾

٧١ نوح

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

وَلِيَّ كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيءَ أَذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

٧١ نوح

اَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾

٧١ نوح

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾

٧١ نوح

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

- بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى (إن أجل الله) أي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر (إذا جاء) وأتم على ما أتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا إلى بالإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتهم عذاب أليم فإنه أجل موقت له حتماً وحمله على الأجل الأطول بما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنقى عند مجيء الأجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى (لو كنتم تعلمون) أي لو كنتم تعلمون شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به (قال) أي نوح عليه الصلاة والسلام مناجياً ربه وحاكياً له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاز في الإنذار كل حد معهود وضائق عليه الحيل وعيت به العلل (رب إني دعوت قومي) إلى الإيمان والطاعة (ليلاً ونهاراً) أي دائماً من غير فتور ولا توان (فلم يزدني دعائي إلا فراراً) بما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببته ٦ كما في قوله تعالى زادتكم إيماناً (وإني كلما دعوتهم) إلى الإيمان (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم في آذانهم) أي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة (واستعشوا ثيابهم) أي بالغوا في التغطية بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروا كراهة النظر إليه أو لئلا يعرفهم فيدعوه (وأصروا) أي أكبوا على الكفر والمعاصي مستعازين من أصر الحمار على العانة إذا أصر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعي وطاعتي (استكباراً) شديداً (ثم إني دعوتهم جهاراً) (ثم إني أعلنت ٩،٨ لهم وأسررت لهم إسراراً) أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غيب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الأفراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهار منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم

٧١ نوح

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾

٧١ نوح

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾

٧١ نوح

وَيُمِدِّدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينُ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾

٧١ نوح

مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾

٧١ نوح

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾

١٠ أو هو صفة لمصدر أى دعوتهم دعاء جهاراً أى مجاهرأ به أو مصدر فى موقع الحال أى جاهرأ (فقلت
 • استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصى (إنه كان غفاراً) للتائبين كأنهم تعلقوا وقالوا إن كنا
 على الحق فكيف تركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرأ طويلاً فأمرهم بما
 يمحى ماسلف منهم من المعاصى ويحلب إليهم المنافع ولذلك وعدم بما هو أوقع فى قلوبهم وأحب إليهم
 من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام
 نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدم أنهم إن آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم
 ما كانوا فيه (يرسل السماء عليكم مدراراً) أى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب
 ١١ ١٢ (ويمدكم بأموال وينين ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم) فيها (أنهاراً) جارية (مالكم
 لا ترجون لله وقاراً) إنكار لأن يكون لهم سبب مافى عدم رجائهم لله تعالى وقاراً على أن الرجاء بمعنى
 الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على أن الإنكار متوجه
 إلى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا إليهما معاً كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرني
 والله متعلق بمضمون وقع حالا من وقاراً ولو تأخر لكان صفة له أى أى سبب حصل لكم حال كونكم
 ١٤ غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطواراً) أى والحال
 أنكم على حال منافية لما أتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية
 ثم أخلاطاً ثم نطفأً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظماً ولحوماً ثم أنشأكم خالقاً آخر فإن التقصير فى توفير من
 من هذه شؤنه فى القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل
 الرجاء بمعنى الأمل أى مالكم لا تؤملون له تعالى توفيراً أى تعظيماً لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على
 حال تؤملون فيها تعظيم الله تعالى إياكم فى دار الثواب والله يبان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار
 والاول هو الذى تستدعيه الجزالة التزلية فإن اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله
 تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد جتاً وأما عدم رجائهم لتعظيم الله
 إياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والإنكار مع أن فى جمل الوقار بمعنى التوفير من التعسف

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ٧١ نوح

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ٧١ نوح

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ٧١ نوح

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ٧١ نوح

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ٧١ نوح

وفي قوله والله ييان للوقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض مالا يخفى فإن كونه يياناً للوقر يقتضى أن يكون التوقير صادراً عنه تعالى والوقار وصفاً للخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفاً له تعالى وقيل مالكم لاتخافون لله عظمة وقدره على أخذكم بالعقوبة أى أى عذركم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مالكم لاتخشون الله عقاباً ولا ترجون منه ثواباً وعن مجاهد والضحاك مالكم لاتبالون الله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج أى لم أبال وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) أى متطابقة بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) أى منورا لوجه الأرض فى ظلمة الليل ونسبته إلى الكل مع ١٥ أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل أو لأن كل واحدة منها شفافة لاتحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل (وجعل الشمس سراجاً) يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الأرض • ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور فى الجملة (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) أى أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه ١٧ أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتاً إما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أى أنبتكم من الأرض فنبت نباتاً ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتاً فنبت نباتاً فيحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الأخرى كما مر فى قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله (ثم يعيدكم فيها) ١٨ بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والخشر (إخراجاً) محققاً لا ريب فيه (والله جعل لكم الأرض بساطاً) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر مراراً من الاهتمام ببيان كون المفعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم ملوحاً بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن

٧١ نوح

لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

٧١ نوح

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾

٧١ نوح

وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَارًا ﴿٢٢﴾

٧١ نوح

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

٧١ نوح

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

- ٢٠ عند وروده لها فضل تمكن (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فجع وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا
- ٢١ أى كائنه من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها (قال نوح) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية
- مناجاته لربه أى قال مناجيا له تعالى (رب إنهم عصوني) أى تموا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت
 - فى إرشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا) أى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على
- ٢٢ أنه لغة كالخزن أو جمع كالأسد (ومكروا) عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فى الضمائر الأول باعتبار لفظها (مكرا كبارا) أى كبيراً فى الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتياهم فى الدين وصددهم للناس عنه وتحريشهم لهم فى أذية نوح عليه السلام (وقالوا لا تذرنا آلهتكم) أى لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح (ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أى ولا تذرنا عبادة هؤلاء خصوصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب ود لكتب وسواع لعمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمردونسر لخير وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم وتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للمعجمة والعلبية (وقد أضلوا) أى الرؤساء (كثيرا) خلقا كثيرا أو الأصنام كقوله تعالى رب إنهن أضللن كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطف على قوله تعالى رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال

تَمَّا خَطِبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ ٧١ نوح

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ٧١ نوح

إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ٧١ نوح

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا

تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ٧١ نوح

وبعد الواو النابتة عنه أى قال رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما فى قوله تعالى إن المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سأتى من دعائه عليه الصلاة والسلام (بما خطيئاتهم) أى من أجل خطيئاتهم وما زيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرىء بما خطاياهم وبما خطيئاتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان لا بسبب آخر (فأدخلو ناراً) * المراد إما عذاب القبر فهو عقيب الإغراق وإن كانوا فى الماء عن الضحك أنهم كانوا يفرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لإغراقهم لا قربابه وتحققه لاحالة وتكثير النار إما لتعظيمها وتهويلها أو لأنه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا * لهم من دون الله أنصاراً) أى لم يجد أحد منهم واحداً من الأنصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتمكيمهم (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ٢٦ عطف على نظيره السابق وقوله تعالى بما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للإيدان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئتهم التى عددها نوح عليه السلام وأشار إلى استحقاقهم للإهلاك لأجلها لا أنها حكاية لنفس الإغراق والإحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الأحوال والأقوال وإلا لآخر عن حكاية دعائه هذا ودياراً من الأسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار أودبور كقيام وقيام أى أحد وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل بأصل سيد لأفعال وإلا لكان دواراً (إنك إن تذرهم) عليها كلا أو بعضاً (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا إلا ٢٧ فاجراً كفاراً) أى إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه وكأنه اعتذار بما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكراً وإنما قاله لاستحكام عليه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريباً من ألف سنة (رب اغفر لي ٢٨

٧٢ - سورة الجن
(مكية وهي ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٢ الجن

قُلْ أُوْحِي إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾

٧٢ الجن

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾

ولو الـدى) أبوه ملك بن متوشلخ وأمه شمش بنت أنوش كانوا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرىء ولولدى
* يريد ساما وحاماً (ولن دخل بيتي) أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (مؤمناً) بهذا القيد خرجت
امراته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه إلا بعد ما قيل له إنه ليس من أهالك
* وقد مر تفصيله فى سورة هود (وللمؤمنين والمؤمنات) عهدهم بالدعاء إثر ما خص به من يتصل به نسباً
* ودينياً (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أى هلاكاً قليل غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لاعلى وجه العقاب
لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم براءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه
الصلاة والسلام يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال
علم الله برأيتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسايتهم وأبى أصلاب آبائهم قبل الطوفان
بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح
كان من المؤمنين الذين تدرهم دعوة نوح عليه السلام .

(سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أوحى إلى) وقرىء أوحى إلى أصله ووحى وقد قرىء كذلك من
* ووحى إليه فقلت الواو المضمومة همزة كاعد وأزن فى وعد ووزن (أنه) بالفتح لأنه فاعل أوحى
* والضمير للشأن (استمع) أى القرآن كما ذكر فى الأحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه (نفر من
الجن) النفرا مابين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع
من الأرواح المجردة وقيل هى النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام
لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوه فأخبر الله
* تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل فى الأحقاف (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم إليهم (إنا سمعنا
* قرآنًا) كتاباً مقروءاً (عجباً) بديعاً مبيناً لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف
٢ به للبالغة (يهدى إلى الرشد) إلى الحق والصواب (فآمننا به) أى بذلك القرآن (ولن نشرك بربنا
أحداً) حسبنا نطق به ما فيه من دلائل التوحيد .

٧٢ الجن

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾

٧٢ الجن

وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ كَانُوا رِجَالًا مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

- (وأنه تعالى جد ربنا) بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعاً عطف على محل الجار والمجرور في فأمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أى ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أى عظم تمكنه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجدل الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو سلطانه أو لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكور عطفاً على المحكى بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الإيمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه إشكال كما ستحيط به خبراً وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدارينا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والإيمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقدوه كفره الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه وزهوه تعالى عنه (وأنه كان يقول سفيناً) أى إبليس أو مرده الجن (على الله شططاً) أى قولاً شطط أى بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى وتعلق الإيمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فإنهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل أيضاً بل باعتبار كونه شططاً كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيناً في حقه تعالى كان شططاً وأما تعلقهما بقوله تعالى (وأنا ظنننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً) فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليد سفينهم أى كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبداً ولذلك اتبعنا قوله وكذباً مصدر مؤكد لتقول لأنه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أى قولاً كذباً أى مكذباً فيه وقرئ لن تقول بحذف إحدى التامين فكذباً مصدر مؤكد له لأن الكذب هو التقول (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) كان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قعر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سداً الإنس والجن وذلك قوله تعالى (فزادهم) أى زاد الرجال العائذون الجن (رهقاً) أى تكبروا وعتوا أو فزاد الجن العائذين غياً بأن أضلّوهم حتى استعاضوا بهم (وأنهم

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْتًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴿٨﴾ الجن ٧٢

وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدِ السَّمْعِ فَنَنْسَمِعُ الْآنَ يَجْدُ لَهُ شُهَابًا رَصْدًا ﴿٩﴾ الجن ٧٢

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ الجن ٧٢

وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ الجن ٧٢

- * ظنوا) أى الإنس (كما ظننتم) أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض (أن لن يبعث الله أحدا) وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنها كذلك على كل تقدير عطفاً على أنه استمع إذ لا معنى لإدراجهما تحت ما ذكر من الإيمان والتصديق وكذا قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء) وما بعده من الجمل المصدرة بأنا ينبغي أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى إلى كيت وكيت وهذه العبارات أى طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجلس يقال لمسه واتمسه * وتلسه كطلبه وأطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرساً) أى حراساً اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك
- * قيل (شديداً) قوياً وهم الملائكة يمنعونهم عنها (وشهباً) جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار
- ٩ الكواكب (وأنا كنا نقعد) قبل هذا (منها) من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع والسمع متعلق بنقعد أى لأجل السمع أو بمضمهر هو صفة لمقاعد كائنة
- * للسمع (فن يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد (يجد له شهاباً رصداً) أى شهاباً راصداً له ولأجله يصدده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضاً لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً فقالوا ما هذا إلا لأمر أراده
- ١٠ الله تعالى بأهل الأرض وذلك قولهم (وأنا لا ندري أشر أريد بمن فى الأرض) بحراسة السماء (أم أرادهم ربهم رشداً) أى خيراً ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية
- ١١ كما فى قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره (وأنا منا الصالحون) أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا
- * إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك لحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لافى الإيمان والتقوى كما توهم فإن هذا بيان لحالهم
- * قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنا طرائق قدداً) وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى - إلى قوله تعالى - وأنا منا المسلمون أى كنا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق قدداً أى متفرقة مختلفة

- وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ الجن ٧٢
- وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ الجن ٧٢
- وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ الجن ٧٢
- وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ الجن ٧٢
- وَالْوِاسِقَتُمْ مَوًّا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ الجن ٧٢
- لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ الجن ٧٢

جمع قدة من قد كالقطعة من قطع (وأنا ظننا) أى علمنا الآن (أن لن نعجز الله) أى الشأن لن نعجز ١٢
الله كائنين (فى الأرض) أينما كنا من أقطارها (ولن نعجزه هرباً) هاربين منها إلى السماء أولن نعجزه *
فى الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن الذى ١٣
هو الهدى بعينه (آمنا به) من غير تلعم وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما أنزله (فلا يخاف) فهو لا يخاف *
(بخساً) أى نقصاً فى الجزاء (ولا رهقاً) ولأن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق إذ لم يبخس أحداً *
حقاً ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجنب
المظالم وقرىء فلا يخف والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (وأنا من المسلمون ومننا ١٤
القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الإيمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك) إشارة إلى من *
أسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) توخوا (رشداً) عظيماً يغلبهم إلى دار الثواب (وأما القاسطون) ١٥
الجائرون عن سنن الإسلام (فكانوا لجهنم حطباً) توقدهم كما توقد بكفرة الإنس (وأن لو استقاموا) ١٦
أن مخففة من النقلة والجملة معطوفة قطعاً على أنه استمع والمعنى وأوحى إلى أن الشأن لو استقام الجن
والإنس أو كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقاً) أى لو سعنا عليهم الرزق *
وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل
لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته
ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفروا بعبادته ولده فى الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم
(لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقهم القديمة ولم يسلبوا ١٧
بامتاع القرآن لو سعنا عليهم الرزق استدراجاً لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة (ومن *
يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله (عذاباً صعداً) أى *
شاقاً صعباً يعاوب المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة .

٧٢ الجن

وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨

٧٢ الجن

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩

٧٢ الجن

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٢٠

٧٢ الجن

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١

٧٢ الجن

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٢

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ٢٣ ٧٢ الجن

- ١٨ (وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ) عطف على قوله تعالى أنه استمع أي وأوحى إلى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل
 * معناه ولأن المساجد لله (فلا تدعوا) أي لا تعبدوا فيها (مع الله أحدا) غيره وقيل المراد بالمساجد
 المسجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لأنه قبلة المساجد وقيل الأرض
 كلها لأنها جعلت مسجدا للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود
 ١٩ لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجودات على أنه جمع المصدر الميمي (وأنه) من
 * جملة الموحى أي وأوحى إلى أن الشأن (لما قام عبد الله) أي النبي عليه الصلاة والسلام وإيراده بلفظ
 * العبد للإشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه (يدعوه) حال
 * من فاعل قام أي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كامر تفصيله في سورة الأحقاف (كادوا) أي
 * الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا عما شاهدوا من عبادته وسمعوا من
 قراءته واقتداء أصحابه به قياماً وركوعاً وسجوداً لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره
 وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفاً للشركين كاد المشركون يزدحمون عليه
 متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرىء لبدا جمع لبدة وهي
 بمعنى اللبدة ولبدا جمع لبد كساجد وسجد ولبدا بضمين جمع لبود كصبور وصبور وعن قتادة تلبدت
 ٢٠ الإنس والجن على هذا الأمر ليطلقوه فأبى الله إلا أن يظهره على من ناوأه (قل إنما أدعوا) أي أعبد
 * (ربي ولا أشرك به) ربي في العبادة (أحدا) فليس ذلك يبدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الإطباق
 على عداوتي وقرىء قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الأظهر
 ٢١ والأوفق لقوله تعالى (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعا
 ٢٢ ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر (قل إني لن يجيرني من الله أحد) إن أرادني
 * بسوء (ولن أجِدَ من دونه ملتحدا) ملتحدا ومعذلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون
 ٢٣ نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون غيره وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله) استثناء

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَآيُوعِدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَبُ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ الجن ٧٢

قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ مَّا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ الجن ٧٢

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ الجن ٧٢

إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ الجن ٧٢

من قوله لا أملك فإن التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة أو من ملتحداً
أى لن أجد من دونه منجاً إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل إلا مركبة من أن الشرطية ولا النافية
ومعناه أن لا أبلغ بلاغا من الله والجواب مخدوف لدلالة ما قبله عليه (ورسالاته) عطف على بلاغا *
ومن الله صفته لاصلته أى لا أملك لكم إلا تبليغا كائننا منه تعالى ورسالته التى أرسلنى بها (ومن يعص *
الله ورسوله) فى الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه (فإن له نار جهنم) وقرىء بفتح الهمزة على فحقه أو *
فجزاؤه أن له نار جهنم (خالدين فيها) فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (أبدا) بلا نهاية وقوله *
تعالى (حتى إذا رآوا ما يوعدون) غاية لمخدوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه ٢٤
الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رآوا ما يوعدون من فنون
العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حيثئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) وحمل ما يوعدون على ما رآوا *
يوم بدر ياباه قوله تعالى (قل إن أدري) أى ما أدري (أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا) ٢٥
فإنه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكارا له واستهزاء به فقيل قل
إنه كائن لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون (عالم الغيب) بالرفع قيل هو بدل من ربي أو بيان له ٢٦
ويأباه الفاء فى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا) إذ يكون النظم حيثئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا *
فلا يظهر عليه أحدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ مخدوف أى هو عالم الغيب والجملة
استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على
الإطلاق أى فلا يطلع على غيبه إطلاعا كاملا ينكشف به جليلة الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين
أحدا من خلقه (إلا من ارتضى من رسول) أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة ٢٧
برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون
معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعمامة التكليف الشرعية التى أمر بها المكلفون
وكيفيات أعمالهم وأجزئتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من
جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التى بينها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق
بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن بيان
وقته مغل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء

لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ٧٢ الجن

المتعلقة بالكشف فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسول لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلاً ولا يدعى أحد لأحد من الأولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فإنه يسلك من جميع جوانب الرسول صلى الله عليه وسلم عند إظهاره على غيبه حرصاً من الملائكة بحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالاته وقوله تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية ٢٨ له من حيث أنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه إذ المراد به العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد إظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفرادهم وضمير أبلغوا إما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علماً مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلًا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد عليه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما وأما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربهم إلى أهمهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغوا الرصد إليهم كذلك وقوله تعالى (وأحاط بما لديهم) أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جىء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليرتب عليه عليه تعالى بما ذكره والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعاً (وأحصى كل شيء) بما كان وما سيكون (عدداً) أى فرداً فرداً وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيوناً والأصل أحصى عدد كل شيء وقيل هو حال أى معدوداً محصوراً أو مصدر بمعنى احصاء وأياً ما كان ففائدته بيان أن عليه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلى إجمالى بل على وجه جزئى تفصيلي فإن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى لا تقدرها إجمالاً فضلاً عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والآلاف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فينبى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فمعزل من السداد . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق بمحمداً وكذب به عتق رقبة .

٧٣ - سورة المزمل
(مكية وهي عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٣ المزمل

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ①

٧٣ المزمل

قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ②

٧٣ المزمل

نُصْفَهُ ۚ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③

(سورة المزمل مكية إلا آية ١٠، ١١، ٢٠ فدنية وآياتها عشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المزمل) أي المتزمل من زمّل بثيابه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاء وقد قرئ على الأصل وقرئ المزمل من زمله مبنياً للدفعول ومبنياً للتفاعل قبل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجيناً لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففاً بقطيفة مستعداً للنوم كما يفعله من لا يهمله أمر ولا يعنيه شأن فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمير للعبادة والهجود إلى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جثت فرقا أول ما أتاها جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى فحسب أنه عرض له فينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعللى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فأتاها وهو نائم وقد لصق بحمّيه التراب قم يا أبا تراب ملاطفة وإشعاراً بأنه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذى زمّل أمراً عظيماً هو أمر النبوة أى حمّله والزمّل الحمل وازدمله أى احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للإشعار بعمليته للقيام أو للأمر به فإن تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة (قم الليل) أى قم إلى الصلاة وانصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها (إلا قليلاً) استثناء من الليل وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل الباقي بعد اثني عشر بدّل الكل أى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والإيدان بفضلته وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر (أو انقص منه) أى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الأولى

٧٣ المزمّل

أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④

٧٣ المزمّل

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤

٧٣ المزمّل

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥

٤ (قليلًا) أى نقصاً قليلاً أو مقداراً قليلاً بحيث لا ينحط إلى نصف النصف (أوزد عليه) أى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخيره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلاً والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولاً فلان الحقيق بالاهتناء الذى ينبى عنه الإبدال هو الجزاء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه وأما ثانياً فلان نقص القيام وزيادته إنما يعتبران بالقياس إلى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلاً من قليلاً لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس إلى ما هو عار عنه بالسكينة والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلاً ظاهراً اعتراف بأن الحق هو الأول وقيل نصفه بدل من الليل وإلا قليلاً استثناء من النصف والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للأقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلاً وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الأول والله أعلم بما فى كتابه الجليل (ورتل القرآن) * فى أثناء ما ذكر من القيام أى أقرأه على تودة وتبيين حروف (ترتيلًا) بليغاً بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل إذا كان مفلجاً (إنا سنلقى عليك) أى سنوحى إليك وإثارة الإلقاء * عليه لقوله تعالى (قولا ثقيلاً) وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعتراض بين الأمر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلاً أنه رصين لرزاة لفظه ومتانة معناه أو ثقل على المتأمل فيه لافتقاره إلى مزيد تصغية للسر وتجريد للنظر أو ثقل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرفاً (إن ناشئة الليل) أى إن النفس التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة أى تنهض من نشأ من مكانه إذا نهض أو إن قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو إن العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو إن ساعات الليل فإنها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الأولى من نشأ إذا ابتدأ (هى أشد وطأً) أى هى خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطأ أى أشد هو أطأه يواطىء قلبها لسانها إن أريد بها النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه أن أريد

٧٣ المزمل

إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾

٧٣ المزمل

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾

٧٣ المزمل

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

٧٣ المزمل

وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾

٧٣ المزمل

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾

٧٣ المزمل

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾

٧٣ المزمل

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾

- بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص (وأقوم قبلاً) *
 وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات (إن لك في النهار سبجاً طويلاً) أى تقبلاً ٧
 وتصرفاً في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا يستطيع أن تنفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان
 للداعي الخارجى إلى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى وقرئ سبخاً أى تفرق قلب بالشواغل
 مستعار من سبخ الصوف وهو نقشه ونشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلاً ٨
 ونهاراً على أى وجه كان من تسييح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم (وتبتل إليه) *
 أى وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك إلا بتجريد نفسه
 عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل (تبتيلاً) *
 مكان تبتلاً مع ما فيه من رعاية الفواصل (رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح وقيل على الابتداء ٩
 خبره (لا إله إلا هو) وقرئ بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على إضمار حرف القسم جوابه لا إله *
 إلا هو والفاء فى قوله تعالى (فاتخذ وكيلاً) لترتيب الأمر وموجه على اختصاص الألوهية والربوبية *
 به تعالى (واصبر على ما يقولون) بما لاخير فيهم من الخرافات (واهجرهم هجراً جميلاً) بأن تجانهم وتداريهم ١٠
 ولا تكافهم وتكل أمورهم إلى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى (وذرنى والمكذبين) أى دعنى وإياهم ١١
 وكل أمرهم إلى فإنى أكفيكمهم (أولى النعمة) أرباب التنعم وهم صناديد قريش (ومهلهم قليلاً) زماناً *
 قليلاً (إن لدينا أنكالاً) جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للأمر أى أن لدينا أموراً مضادة ١٢
 لتنعمهم (جحماً) (وطعاماً ذا غصة) ينشب فى الخلق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم (وعذاباً ١٣
 أليماً) ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد .

- ٧٣ المزمّل يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ١٤
- ٧٣ المزمّل إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥
- ٧٣ المزمّل فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ١٦
- ٧٣ المزمّل فَكَيِّفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ١٧
- ٧٣ المزمّل السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ١٨
- ٧٣ المزمّل إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمِنْ شَاءِ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩

- ١٤ وقوله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) أى تضطرب وتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به
 * لدينا وقيل متعلق بمضمهر هو صفة لعذابنا أى عذاباً واقعاً يوم ترجف (وكانت الجبال) مع صلابتها
 * وارتفاعها (كثيباً) رملا مجتمعاً من كشب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلاً) منشوراً من
 ١٥ هيل هيلاً إذا ثر وأسيل (إنا أرسلنا إليكم) ياهل مكة (رسولا شاهداً عليكم) يشهد يوم القيامة
 * بما صدر عنكم من الكفر والعصيان (كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً) هو موسى عليه السلام وعدم
 ١٦ تعيينه لعدم دخله فى التشبيه (فعصى فرعون الرسول) الذى أرسلناه إليه وحمل الكاف النصب على
 أنها صفة لمصدر محذوف أى (إنا أرسلنا إليكم رسولاً فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهداً عليكم
 * إرسالاً كأننا كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه وقوله تعالى (فأخذناه أخذاً وبيلاً) خارج من
 التشبيه جىء به للتنبيه على أنه سيحقق بهؤلاء ماحاق بأولئك لا محالة والويل الثقيل الغليظ من قولهم
 ١٧ كلاً وويل أى وخيم لا يستمرأ لثقله والويل العصا الضخمة (فكيف تتقون) أى كيف تقون أنفسكم
 * (إن كفرتم) أى بقيتم على الكفر (يوماً) أى عذاب يوم (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة
 * مافيه من الدواهي (شيباً) شيباً ما جمع أشيب إما حقيقة أو تمثيلاً وأصله أن الهموم والأحزان إذا
 تفافت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفاً لليوم بالطول وليس
 ١٨ بذلك (السما منفطر) أى متشقق وقرئ منفطر أى متشقق والتذكير لإجرائه على موصوف مذكر
 أى شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسومها ولم يبق منها إلا
 ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات انقطاع والباء فى
 * قوله تعالى (به) مثلها فى فطرت العود بالقدوم (كان وعده مفعولاً) الضمير لله عز وجل والمصدر
 ١٩ مضاف إلى فاعله أو لليوم وهو مضاف إلى مفعوله (إن هذه) إشارة إلى الآيات المنطوية على القوراع
 * المذكورة (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) بالتقريب إليه بالإيمان والطاعة فإنها المنهاج

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّنْ نَحْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْنَتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

٧٣ المزمل

- الموصل إلى مرضاته (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أى أقل منهما استعير له الأدنى ٢٠
- لما أن المسافة بين الشيتين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفاً على أدنى
 - وقرنا بالجر عطفاً على ثلثي الليل (وطائفة من الذين معك) أى يقوم معك طائفة من أصحابك (والله
 - يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلاً فإن تقدير الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر
 - عليه موجب للاختصاص قطعاً كما يعرب عنه قوله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم أن الشأن لن
 - تقدرُوا على تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبداً (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام
 - المقدر ورفع التبعة عنكم فى تركه (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر
 - عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور ففسر عليهم
 - القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من
 - القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القاتنين وقيل خمسين آية (علم أن سيكون منكم
 - مرضى) استئناف مبين لحكمة أخرى داعية إلى الترخيص والتخفيف (وآخرون يضربون فى الأرض)
 - يسافرون فيها للتجارة (يبتغون من فضل الله) وهو الرجوع وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم (وآخرون
 - يقاتلون فى سبيل الله) وإذا كان الأمر كما ذكر وتعاضدت الدواعى إلى الترخيص (فاقروا ما تيسر
 - منه) من غير تحمل المشاق (وأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة وقيل هى زكاة
 - الفطر إذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرهما بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مديناً (وأقرضوا الله قرضاً
 - حسناً) أريد به الإنفاقات فى سبيل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء (وما
 - تقدموا لأنفسكم من خير) أى خير كان مما ذكر وما لم يذكر (تيسر) عند الله هو خير وأعظم أجراً
 - من الذى تزخرونه إلى الوصية عند الموت وخيراً ثانياً مفعول تيسر وهو تأكيد أو فصل وإن لم يقع
 - بين معرفتين فإن أفعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على
 - الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى كافة أحوالكم فإن الإنسان قلباً يخلو من التفريط (إن الله غفور
 - رحيم) . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة .

٧٤ — سورة المدثر
(مكية وهي ست وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٤ المدثر

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①

٧٤ المدثر

قُمْ فَأَنْذِرْ ②

٧٤ المدثر

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③

٧٤ المدثر

وَوَيْلٌ لَكَ فَطَهِّرْ ④

(سورة المدثر مكية وآياتها ست وخمسون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المدثر) أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي على الجسد قيل هي أول سورة نزلت . روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت فوق فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أن أول ما نزل سورة اقرأ إلى قوله تعالى ما لم يعلم فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواقي الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال إنك نبي الله فرجع إلى خديجة فقال دثروني وصبوا على ماء بارداً فنزل جبريل فقال يا أيها المدثر وقيل سمع من قریش ما كرهه فاعتم فتغطى بثوبه متفكراً كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وأذوه وقيل كان نائماً متدثراً وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الإلهية . وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أي الذي دثر هذا الأمر العظيم وعصب به وفيه إلهام
- ٢ أبي المنذر يا أيها المتدثر على الأصل (قم) أي من مضجعتك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) أي افعل الإنذار وأحدثه وقيل أنذر قومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين أو جميع الناس حسبما ينبيء
- ٣ عنه قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقاداً وقولاً ويروى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أي شيء حدث فلا تدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه
- ٤ ويظهره من الشرك فإن أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تزيه عما لا يليق بجنابه (وويلا بك

٧٤ المدثر

وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤

٧٤ المدثر

وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ ⑥

٧٤ المدثر

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦

٧٤ المدثر

فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ ⑧

٧٤ المدثر

فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨

٧٤ المدثر

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩

- فطهر) بما ليس بظاهر فإنه واجب في الصلاة وأولى وأحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وتقصيرها أيضاً فإن طولها يؤدي إلى جر الذبول على القاذورات وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس بما يستقدر من الأفعال ويستجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والأردان إذا صفوه بالنقاء من المعاييب ومدانس الأخلاق (والرجز فاهجر) أى واجهر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من المآثم وقرىء بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثراً أى رانياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً للكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى إما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له الأخلاق وأحسن الآداب أوللتزبه للكل وقرىء تستكثر بالسكون اعتباراً بحال الوقف أو أبداً لا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا أذى لأن من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرىء بالنصب بإضمار أن مع إبقاء عملها كقول من قال [ألا أيها الزاجرى أحضر الوغى] وقد قرىء بإثباتها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما يروى أحضر الوغى بالرفع (ولربك) أى لوجه تعالى أو لأمره (فاصبر) فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض (فإذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو فاعل من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاًم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاًم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى إذاًم ما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) (على الكافرين) فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة ومحل الرفع على الابتداء ويومئذ

٧٤ المذثر

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١

٧٤ المذثر

وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ مَدُّودًا ١٢

٧٤ المذثر

وَبَنِينَ شُهُودًا ١٣

٧٤ المذثر

وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤

٧٤ المذثر

ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥

بدل منه مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر إذا التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أحوال من المستمكن فيه وقوله تعالى (غير يسير) تأكيد لعسره عليهم مشعر يسره على المؤمنين واختلاف في أن المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية والحق أنها الثانية إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الأولى فحكمها الذي هو الإصعاق يوم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حياً عند وقوعها وقد جاء في الأخبار أن في الصور ثقباً بعدد الأرواح كلها وأنها تجمع في تلك الثقوب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقب روح إلى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيداً) حال إما من الياء أى ذرنى وحدى معه فإنى أكفيك في الانتقام منه أو من التاء أى خلقت وحدى لم يشركنى في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقت وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيداً من المال والولد أو وحيداً من أبيه لأنه كان زنياً كما مر أو وحيداً في الشرارة (وجعلت له ما لا مدوداً) مبسوطة كثيراً أو مدداً بالتمام من مد النهر ومدته نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري أربعة آلاف دينار وقال الثوري أيضاً ألف ألف دينار (وبنين شهوداً) حضوراً معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لو فور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضوراً في الأندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعماره وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعماره (ومهدت له تمهيداً) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ربحانة قريش (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيته وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه إما لأنه لا مزيد

٧٤ المدثر

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾

٧٤ المدثر

سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٧٤ المدثر

إِنَّهُ فَعَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

٧٤ المدثر

فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾

على ما أوتي سعة كثيرة أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاودة المنعم وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لي (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب ١٦ وقوله تعالى (إنه كان لآياتنا عنيداً) تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاودة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها بما يوجب حرمانه بالسكينة وإنما أوتي ما أوتي استدراجاً قيل مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعوداً) سأغشيه بدل ما يطعمه من ١٧ الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقي من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكن أن يصعد عقبة في النار كلها وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيها سبعين خريفاً ثم يهوى فيه كذلك أبداً (إنه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أي ١٨ فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقول (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره وإصابته ١٩ فيه الغرض الذي كان ينتجيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به أو حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكم بهم وإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه أو أخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغاً حقيقياً بأن يدعو عليه حاسده بذلك . روى أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آثفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له للحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلو فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأ قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد هذه حزنياً وكمبه بما أحماه فقام فاتام فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخفق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحراً يثره عن أهل بابل فاربح النادي فرحاً وتفارقوا معجبين بقوله متعجبين منه .

٧٤ المدثر	ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرُ ٢٠
٧٤ المدثر	ثُمَّ نَظَرَ ٢١
٧٤ المدثر	ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢
٧٤ المدثر	ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣
٧٤ المدثر	فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤
٧٤ المدثر	إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥
٧٤ المدثر	سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ٢٦
٧٤ المدثر	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ٢٧
٧٤ المدثر	لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨
٧٤ المدثر	لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ٢٩

٢٠ (ثم قتل كيف قدر) تكرير للبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيها بعد على أصلها ٢٢، ٢١ من التراخي الزماني (ثم نظر) أى في القرآن مرة بعد مرة (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعناً ولم يدرك ما يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر إلى رسول الله صلى ٢٣ الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو عن رسول الله صلى ٢٤ الله عليه وسلم (واستكبر) عن اتباعه (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى يروى ويتعلم والفاء للدلالة ٢٥ على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعم وتلبث وقوله تعالى (إن هذا إلا قول البشر) ٢٧، ٢٦ تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعوداً (وما أدراك ما سقر) أى أى شيء أعليك ما سقر على أن ما الأولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لأنها المفيدة لما قصد إفادته من التهويل والتفطيع وسقر مبتدأ أى أى شيء هى فى وصفها لما مر مراراً من ٢٨ أن ما قد يطلب بها الوصف وإن كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى (لا تبقي ولا تذر) بيان لوصفها وحالها وإنجاز للوعد الضمني الذى يلوح به وما أدراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك أى لا تبقى شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذر هالكاً حتى يعاد أو لا تبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة للبشر) مغيرة لأعلى الجلمة مسودة

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

٧٤ المدثر

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

٧٤ المدثر

- لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين
 اليقين وقرىء لواحة بالنصب على الاختصاص للتحويل (عليها تسعة عشر) أى ملكاً أو صنفاً أو صفاً ٣٠
 أو نقيباً من الملائكة يلون أمرها ويتسلطون على أهلها وقرىء بسكون عين عشر حذاراً من توالى
 الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرىء تسعة عشر جمع عشير مثل يمين وأيمن (وما جعلنا أصحاب
 النار) أى المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها (للملائكة) لينخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم *
 ولا يستروحوا إليهم ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشدّهم بأساً
 عن النبي صلى الله عليه وسلم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى
 النار ويرى بالجلل عليهم وروى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة
 منكم أن يعطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كعدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم
 سبعة عشر فاكفوني أتم اثنين فنزلت أى ما جعلناهم رجالاً من جنسكم (وما جعلنا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا) أى ما جعلنا عددهم إلا العدد الذى تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبّر بالآثر عن المؤثر
 تليها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الأمر بل جعله فى
 القرآن أيضاً كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق اقتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم
 لتولى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسياتى من استيقان
 أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية فى النظر
 والعمل بسبب القوى الحيوانية الإثنتى عشرة والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات منها لأصناف
 الكفرة كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع
 ملك أو صنف أو صف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه
 واحد أو أن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف
 إلى ما يؤخذ به بأنواع العذاب يتولاهما الزبانية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على
 المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً
 لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا إيماناً) أى يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب *

٧٤ المدر

كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿٣٢﴾

٧٤ المدر

وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ ﴿٣٣﴾

٧٤ المدر

وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾

٧٤ المدر

إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾

• وتصدقهم أنه كذلك أو كية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ونفي لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما وإنما لم ينظم المؤمنون في ساك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينفيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكما بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيدان ببناتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك أو نفاق فيكون إخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة (والكافرون) المصرون على التكذيب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وإفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب قننتهم للإشعار باستقلاله في الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهداية ومحل الكاف في الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء (ويهدى من يشاء) إضلالاً وهداية كائنين مثل ما ذكر من الإضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لإفادة القصر فصار النظم مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله ليعرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات إلى جانب الهدى لا إضلالاً وهداية أدنى منهما (وما يعلم جنود ربك) أى جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون (إلا هو) إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو إجمالاً فضلاً عن الإطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة (وما هي) أى سقر أو عدة خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها (إلا ذكرى للبشر) إلا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن أنكرها أو إنكار ونفي لأن يكون لهم تذكر (والقمر) (والليل إذ أدبر) وقرىء إذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدار وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه (والصبح إذا أسفر) أى أضاء وانكشف (إنما لإحدى الكبرى) جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبرى جمع الكبرى جعلت ألف التانيث ككتائبها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء

٧٤ المدثر

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾

٧٤ المدثر

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

٧٤ المدثر

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾

٧٤ المدثر

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾

٧٤ المدثر

فِي جَنَّاتٍ يَنْسَاءُ لُونٌ ﴿٤٠﴾

٧٤ المدثر

عَنِ الْمَجْرِمِينَ ﴿٤١﴾

كانها جمع قاصعة أى لإحدى البليات أو لإحدى الدواهي الكبر على معنى أن البليات الكبر أو الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لانظيرة لها (نذيراً للبشر) تميز أى لإحدى الكبر إنذاراً أو ٣٦ حال مما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرىء نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لأن أو لمبتدأ محذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) بدل من للبشر أى نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير فيهديه ٣٧ الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤم ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة ٣٨ اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم لاصفة وإلا ل قيل رهين لأن فاعلاً بمعنى مفعول لا يدخله التأني (إلا أصحاب اليمين) فإنهم فاعلون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الرهن بآداء الدين وقيل ٣٩ هم الملائكة وقيل الأطفال وقيل هم الذين سبق لهم من الله تعالى الحسن وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيمانهم (في جنات) لا يكتنه كنهها ولا يدرك ٤٠ وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى (يتسألون) وقيل ظرف للتسؤل وليس المراد بتسؤلهم أن يسأل بعضهم بعضاً على أن يكون كل واحد منهم سائلاً ومسؤولاً بل صدور السؤال عنهم مجرداً عن وقوعه عليهم فإن صيغة التفاعل وإن وضعت في الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معاً بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً كما في قولك تراهي القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الأول فقط فيذكر للفعل حيث مذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فعنى يتسألون (عن المجرمين) يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسئول لكونه عين المسئول عنه ٤١

٧٤ المدثر	مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾
٧٤ المدثر	قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ ﴿٤٣﴾
٧٤ المدثر	وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
٧٤ المدثر	وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ﴿٤٥﴾
٧٤ المدثر	وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾
٧٤ المدثر	حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾
٧٤ المدثر	فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾
٧٤ المدثر	فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾
٧٤ المدثر	كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾

٤٢ وقوله تعالى (ما سلككم في سقر) مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أى يسألونهم قائلين أى
 ٤٣ شئ أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف فيه المتكفون (قالوا) أى المجرمون مجيبين للسائلين (لم
 ٤٤ نك من المصلين) للصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفي الإطعام لاعلى
 نفي استمرار الإطعام كما مر مراراً وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذه
 ٤٥، ٤٦ (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب يوم الدين)
 أى يوم الجزاء أضافوه إلى الجزاء مع أن فيهم الدواهي والأحوال مالا غاية له لأنه أدهاها وأهولها
 وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنایاتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم
 قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين يوم الدين ولييان كون تكذيبهم به مقارناً لسائر جنایاتهم المعدودة
 ٤٧، ٤٨ مستمرّاً إلى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم (حتى آتانا اليقين) أى الموت ومقدماته (فما تنفعهم
 ٤٩ شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعاً والفاء في قوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين) لترتيب إنكار
 إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الإقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال
 المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبراً لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فإذا
 كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شئ حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال
 ٥٠ عليه وتأخذ الدواعي إلى الإيمان به وقوله تعالى (كأنهم حمير مستنفرة) حال من المستكن في معرضين

٧٤ المدثر

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾

٧٤ المدثر

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشُورَةً ﴿٥٢﴾

٧٤ المدثر

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

٧٤ المدثر

كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٥٤﴾

٧٤ المدثر

فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾

٧٤ المدثر

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

- بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر
والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ
وشرادهم عنه بحمر جدت فى تفارها بما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى وقوله تعالى (بل)
يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشورة (عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قبل لا يكتفون بتلك
التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قرأ ليس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا الرسول
الله صلى الله عليه وسلم لن تبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى
فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن تؤمن لريقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقرئ صحفاً
منشورة بسكون الحاء والتون (كلا) ردع لهم عن تلك الجراءة (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك يعرضون
عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كلا) ردع عن إعراضهم (إنه) أى القرآن (تذكرة) وأى
تذكرة (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) وحاز بسببه سعادة الدارين (وما يذكرون) بمجرد مشيئتهم
للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره إذ لا تأثير لمشيئة العبد وإرادته فى أفعاله وقوله
تعالى (إلا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما يذكرون بعلّة من العلل أو فى حال
من الأحوال إلا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز
وجل وقرئ تذكرون على إخطاب التفاتاً وقرئ بهما مشدداً (هو أهل التقوى) أى حقيق بأن
يتقى عقابه ويؤمن به ويعطى (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأصاعه . عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم
وكذب به بمكة .

٧٥ — سورة القيامة

(مكية وهي أربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٥ القيامة

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ❶

٧٥ القيامة

وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ❷

٧٥ القيامة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ❸

(سورة القيامة مكية وآياتها أربعون)

- ❶ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا أقسم بيوم القيامة) إدخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها تأكيد القسم قالوا إنها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الإقسام بل لنفي ما ينبيء هو عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامي به حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى نفي الإقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل إن لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقبل لا أى ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله إن البعث حق وأياً ما كان ففي الإقسام على تحقق البعث يوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد
- ❷ مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراءة التي في القسم السابق أو بالنفس التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعات أو بالنفس المطمئنة للآئمة للنفس الأماردة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً قالت كيف لم أزد وإن عملت شراً قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فإن هذا القدر من اللوم لا يكون مداراً للإعظام بالإقسام وإن صدر عن النفس المؤمنة المسببة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فإنها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب
- ❸ القسم ما دل عليه قوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه) وهو لبيثن والمراد بالإنسان الجنس والهمزة لإنكار الواقع واستباحه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها مخذوف أى يحسب أن الشأن لن نجتمع عظامه فإن ذلك حسان باطل فإننا نجتمعها بعد تشتتها ورجوعها رمياً

٧٥ القيامة

بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾

٧٥ القيامة

بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أَمَامَهُ ﴿٥﴾

٧٥ القيامة

يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾

٧٥ القيامة

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾

٧٥ القيامة

وَحُصِفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾

٧٥ القيامة

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾

٧٥ القيامة

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤَمِّدُ أَيْنَ الْمَعْرُ ﴿١٠﴾

ورفاتاً مختلطاً بالتراب وبعد ماسفتها الرياح وطيرتها في أقطار الأرض وألقها في البحار وقيل إن
 عدى بن أبي ربيعة خن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم
 اكفني جاري السوء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أحمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف
 أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام
 (بلى) أى نجمعها حال كوننا (قادرين على أن نسوى بنانه) أى نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض
 كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى أصابعه التى هى أطرافه وآخر
 ما يتم به خلقه وقرىء قادرون (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) عطف على أيحسب إما على أنه استفهام
 مثله أضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا أو على أنه إيجاب انتقل إليه عن الاستفهام أى بل يريد
 ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعى عنه (يسأل أيان يوم القيامة)
 أى متى يكون استبعاداً أو استهزاء (فإذا برق البصر) أى تحير فزعاً من برق الرجل إذا نظر إلى البرق
 فدهش بصره وقرىء بفتح الراء وهى لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصة وقرىء بلى أى
 اففتح وانفراج (وحسف القمر) أى ذهب ضوؤه وقرىء على البناء للفعول (وجمع الشمس والقمر) ٩٠٨
 بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما
 ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الإنسان يؤمّد) أى يوم
 إذ تقع هذه الأمور (أين المعر) أى الفرار يأساً منه وقرىء بالكسر أى موضع الفرار وقد جوز
 أن يكون هو أيضاً مصدراً كالمرجع .

٧٥ القيامة

كَلَّا لَا وَزَرَ ⑪

٧٥ القيامة

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ⑫

٧٥ القيامة

يُنَبِّئُكَ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ⑬

٧٥ القيامة

بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ⑭

٧٥ القيامة

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ⑮

٧٥ القيامة

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ⑯

- ١١ (كلا) ردع من طلب المفروم وتمنيه (لاوزر) لاملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت إليه وتخلصت به فهو وزرك (إلى ربك يومئذ المستقر) أى إليه وحده استقرار العباد أو إلى حكمه استقرار أمرهم
- ١٣ أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الإنسان يومئذ) أى يخبر كل امرئ برأ كان أو فاجراً عند وزن الأعمال (بما قدم) أى عمل من عمل خيراً كان أو شراً فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني (وأخر) أى لم يعمل خيراً كان أو شراً فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما أخر خلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره (بل الإنسان على نفسه بصيرة) أى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الأعمال السيئة كما يعرب عنه كلفة على وما سيأتى من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازاً كما وصفت الآيات بالأبصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التاء للبالغة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الإنسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى (ولو ألقى معاذيره) أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة أو من مرفوع يذنب أى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو يذنب بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر أى ولو ألقى ستوره . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن ينفلت منه فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يستنصت له ملقياً إليه قلبه وسمعه حتى يقضى إليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه فقليل (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك) عند إلقاء الوحي (لتعجل به) أى لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك

٧٥ القيامة

إِنْ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾

٧٥ القيامة

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا نَبَإَهُ ﴿١٩﴾

٧٥ القيامة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾

٧٥ القيامة

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾

٧٥ القيامة

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

٧٥ القيامة

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

- (إن علينا جمعه) في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) أى إثبات قراءته في لسانك ١٧
 (فإذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وإسناد القراءة إلى نون العظمة للبالغة ١٨
 في إيجاب التاني (فاتبع قرآنه) فكن مقفياً له ولا ترأسه (ثم إن علينا نبأه) أى بيان ما أشكل عليك ١٩
 من معانيه وأحكامه (كلا) ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له في الأناة وأكد ٢٠
 ذلك بقوله تعالى (بل تحبون العاجلة) (وتذرون الآخرة) على تعميم الخطاب للكل أى بل أتم يابني ٢١
 آدم لما خلقت من عجل وجلبتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل
 كلا ردع للإنسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده
 قراءة الفعلين على صيغة الغيبة (وجوه يومئذ ناضرة) أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين ٢٢
 يوم إذ تقوم القيامة بنية متهلة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ
 منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) خبر ثان للبستأ أو نعت لناضرة وإلى ربها ٢٣
 متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لأن المقام مقام تفصيل لاعلى أن ناضرة صفة لوجوه والخبر
 ناظرة كإقيل لما هو المشهور من أن حق الصفة أن تكون معلومة الاتساق إلى الموصوف عند السامع
 وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك خفي أن يخبر به ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى
 مستغرفة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في
 جميع الأحوال حتى يتأفاه نظرها إلى غيره وقيل منتظرة لإنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه
 وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يمدى يال .

٧٥ القيامة

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٦﴾

٧٥ القيامة

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٧﴾

٧٥ القيامة

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٨﴾

٧٥ القيامة

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٩﴾

٧٤ القيامة

وَضَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٣٠﴾

٧٥ القيامة

وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٣١﴾

٧٥ القيامة

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٢﴾

٧٤ القيامة

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣٣﴾

٧٥ القيامة

وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٤﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٥﴾

٢٥، ٢٤ (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة (تظن) يتوقع أربابها (أن يفعل
 ٢٦ بها فاقرة) داهية عظيمة تقسم فقار الظهر (كلا) ردع عن إثارة العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن
 ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (إذا بلغ
 ٢٧ التراقي) أى بلغت النفس أعلى الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال (وقيل من
 راق) أى قال من حضر صاحبها من يرقه وينجيها مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت
 ٢٨ أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى (وظن أنه الفراق) وأيقن المختضر أن
 ٢٩ مازل به الفراق من الدنيا ونعيمها (والتفت الساق بالساق) والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند
 حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة إقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في أكفانه
 ٣٠، ٣١ (إلى ربك يومئذ المساق) أى إلى الله وإلى حكمه يساق لا إلى غيره (فلا صدق) ما يجب تصديقه
 * من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الذى نزل عليه أو فلا صدق ماله ولا زكاه (ولا صلى) ما فرض
 عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في قوله تعالى أحسب الإنسان وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون
 ٣٢ بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرآن (وتولى) عن الطاعة
 ٣٣ (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) يتبختر افتخاراً بذلك من المط فإن المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط

٧٥ القيامة

أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾

٧٥ القيامة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

٧٥ القيامة

أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً خَلَقَ فَسَوَىٰ ﴿٣٨﴾

٧٥ القيامة

فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾

٧٥ القيامة

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

أو من المطا وهو الظهر فإنه يلويه (أولى لك فأولى) أى ويل لك وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيده كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل هو أفضل من الويل بعد القلب كأذى من دون أو فعل من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فأولى) أى يتكرر عليه ذلك مرة بعد أخرى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) أى يخلى مهملاً فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى (ألم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور فإن مداره لما كان استبعادهم للإعادة استدل على تحققها بيده الخلق (ثم كان علقه) أى بقدره الله تعالى لقوله ٣٨ تعالى ثم خلقنا النطفة علقه (خلق) أى فقدر بأن جعلها مضغعة مخلقة (فسوى) فعدل وكل نشأته • (فجعل منه) من الإنسان (الزوجين) أى الصنفين (الذكر والأنثى) بدل من الزوجين (أليس ٤٠، ٣٩ ذلك) العظيم الشأن الذى أنشأ هذا الإنشاء اليديع (بقادر على أن يحيى الموتى) وهو أهون من البدء فى قياس العقل . روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة إنه كان مؤمناً بيوم القيامة .

٧٦ - سورة الانسان

(مدينة وهي إحدى وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٦ الانسان

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

٧٦ الانسان

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾

(سورة الانسان مدينة وآياتها إحدى وثلاثون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتى) استفهام تقرير وتقريب فإن هل بمعنى قد والأصل أهل
- * (أتى الإنسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر) أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد
- * (لم يكن شيئاً مذكوراً) بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية أصلاً كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الإنسان أى غير مذكور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد إلى الموصوف
- ٢ أى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً والمراد بالإنسان الجنس فالإظهار فى قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة) لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبي قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الأول إشارة إلى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بياناً لخلق نبيه (أمشاج) أخلاط جمع مشيج أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلقت وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع المائين ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرق والغلظ وخواص متباينة فإن ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فاكان من عصب وعظم وقوة فن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فن ماء المرأة قال القرطبي وقد روى هذا مرفوعاً وقيل مفرد كاعشار وأكياس وقيل أمشاج ألوان وأطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة وقوله تعالى (نبتيه) حال من فاعل خلقنا أى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سياتى أو ناقلين له من حال إلى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصرته فى بطن أمه نطفة ثم علقه إلى آخره (جعلناه سميعاً بصيراً) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية

٧٦ الإنسان

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٧٦ الإنسان

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

- فهو كالسبب عن الابتداء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى (إنا هديناه ٣ السبيل) يزيل الآيات ونصب الدلائل (إما شاكرًا وإما كفورًا) حالان من مفعول هديناه أي مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل إلى البغية في حالتيه جميعاً وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه إلى ما يوصل إليها في حاله جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والآخر فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه وقيل من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكرًا أو كفورًا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازاً وقرئ إما بالفتح على حذف الجواب أي إما شاكرًا فبتوفيقنا وإما كفورًا فبسوء اختياره لا بمجرد إجبارنا من غير اختيار من قبله وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل والإشعار بأن الإنسان قلباً يخلو من كفران ما وإنما المؤاخذة عليه الكفر المفرط (إنا أعتدنا للكافرين ٤ من أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل) سلاسل) بها يقادون (وأغلالاً) بها يقيدون (وسعيراً) بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم الآية ولأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن في وصفهم تفصيلاً ربما يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلًا للتناسب (إن الأبرار) شروع في بيان حسن حال الشاكرين لإثبات سوء حال الكافرين وإيرادهم بعنوان البر للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والأبرار جمع بر أو بار كبر وأرباب وشاهد وأشهاد قيل هو من ير خالقه أي يطعمه وقيل من يمثله بأمره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذى النذر (يشربون من كأس) هي الزجاجاة إذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضاً فمن على الأول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية أو يائية (كان مزاجها) أي ما تمزج به (كافورا) أي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في يياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى (عيناً) بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتحم لهم بالمسك وقيل تخلق لهم رائحة الكافور ويياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فمينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف أي يشربون خمر آخر عين أو نصب على الاختصاص وقوله تعالى (يشرب بها عباد الله) صفة عيناً أي يشربون بها الخمر لكونها مزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الياء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن أبي عتبة يشربها

١٧٦ الإنسان

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

١٧٦ الإنسان

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾

١٧٦ الإنسان

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

١٧٦ الإنسان

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾

١٧٦ الإنسان

فَرَقَلَهُمُ اللَّهُ شِرَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

- عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس (يفجرونها تفجيراً) أي يجرونها حينما شاؤا من منازلهم لإجراء سهلاً لا يمتنع عليهم بل يجرى جرياً بقوة واندفاع والجملة صفة أخرى
- ٧ أعياناً وقوله تعالى (يوفون بالنذر) استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ماذكر من النعم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبغي عنه اسم الأبرار إجمالاً كأنه قيل ماذا يفعلون حتى يتلوا تلك الرتبة العالية
- * فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجهه الله تعالى عليهم (ويخافون يوماً كان شره) عذابه
- * (مستطيراً) فاشياً منتشراً في الأقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار
- ٨ بمنزلة استنفر من نقر (ويطعمون الطعام على حبه) أي كاتنين على حب الطعام والحاجة إليه كما في قوله تعالى لن تناولوا البر حتى تنفقوا بما تحبون أو على حب الإطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كاتنين على حب الله تعالى أو إطعاماً كاتناً على حبه تعالى وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه
- * الله (مسكيناً ويتيماً وأسيراً) أي أسير فإنه كان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه أو أسيراً مؤمناً فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمي رسول الله صلى
- ٩ الله عليه وسلم الغريم أسيراً فقال غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك (إنما نطعمكم لوجه الله) على إرادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون أي قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال لإزاحة
- لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن الصديقة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثلها ليقى ثواب
- * الصدقة لها خالصاً عند الله تعالى (لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً) أي شكراً وهو تقرير وتأكيده
- ١٠ لما قبله (إننا نخاف من ربنا يوماً) أي عذاب يوم (هبوساً) يعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس
- * في الشدة والضاوة (قططيراً) شديد العبوس فلذلك فعل بكم ما فعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره
- ١١ وقيل هو تعليل لعدم إرادة الجزاء والشكور أي إننا نخاف عقاب الله تعالى إن أردناهما (فوقاهم الله
- * شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب .

٧٦ الإنسان

وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

٧٦ الإنسان

مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

٧٦ الإنسان

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

- (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإثبات
 الأموال (الجنة) بستاناً يأكلون منه ماشاءوا (وحريراً) يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضى
 الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا
 لعلى رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لها إن برنا
 بما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشغيا وما معهم شيء فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخيري
 ثلاث أصوع من شعير فطحن فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعاً واختبرت خمسة أقراص على عدم
 فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين
 المسلمين أطعموني أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً
 فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا
 مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرأخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد مايسوؤني ما أرى
 بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساء ذلك فنزل
 جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في أهل بيتك فأقرأه السورة (متكئين فيها على
 الأرائك) حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير إبراز الضمير والأرائك
 هي السرر في الجبال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زَمْهَرِيرًا) إما حال ثانية من الضمير أو المستكن
 في متكئين والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طيء
 والمعنى أن هوائها مضى بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ما قبلها حال
 مثلها أو صفة لمحدوف معطوف علىجنة وأىجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين
 كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرىء دانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة في حين
 الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زَمْهَرِيرًا والحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال أشجار
 الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى أنهم لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها
 مظلة عليهم أنه لا شمس ثمة ولا قمر (وذلت قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) أى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل أخذها
 من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذلة لهم قُطُوفُهَا أو معطوفة
 على دانية عليهم ظلالها ومذلة قُطُوفُهَا وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية .

- وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥
 قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦
 وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧
 عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝١٨
 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ۝١٩
 وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ۝٢٠
 عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١

- ١٥ (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) الكوب الكوز العظيم الذي لا أذن له ولا عروة (كانت
 ١٦ قوارير) (قوارير من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها
 والجملة صفة الأكواب وقرىء بتنوين قوارير الثانى أيضاً وقرئاً بغير تنوين وقرىء الثانى بالرفع على
 * هى قوارير (قدروها تقديرًا) صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن
 تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة
 فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفتين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها
 على قدر اشتهاهم وقرىء قدروها على البناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منفولا من
 ١٧ قدرت الشيء (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) أى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب
 ١٨ المزوج به أطيب مما تستطيع العرب وألذ مما تستلذبه (عيناً) بدل من زنجبيل وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل
 بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حيثئذ بدل من كأساً كأنه قيل ويسقون فيها كأساً كأس عين
 * أو نصب على الاختصاص (فيها تسمى سلسبيلاً) لسلاسة إنحدارها فى الحلق وسهولة مساعها يقال
 شراب سلسل وسلسال وسلسيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان أنها فى طعم الزنجبيل وليس
 ١٩ فيها لذعه بل نقيض اللذع هو السلاسة (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى دأمون على ما هم عليه
 * من الطراوة والبهاء (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منشوراً) لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم
 ٢٠ وانبثاثرهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض (وإذا رأيتهم) ليس له مفعول
 * ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أن بصرك أينما وقع فى الجنة (رأيت نعيماً وملكا كبيراً) أى
 هنيئاً واسعاً وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه
 ٢١ وقيل لازوال وقيل إذا أرادوا شيئاً كان وقيل يعلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم (عليهم ثياب

٧٦ الإنسان

إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾

٧٦ الإنسان

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آئِمًّا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

٧٦ الإنسان

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

- سندس خضر) قيل عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليًا للطوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤًا مثورًا عاليًا لهم ثياب الخ وقرىء عاليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى مايعلمون من لباسهم ثياب سندس وقرىء خضر بالجذر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس (ولاستبرق) بالرفع عطفا على ثياب وقرىء برفع الأول وجر الثانى وقرىء بالعكس وقرىء بجرهما وقرىء واستبرق بوصل الهزمة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاينة والتبويض فإن أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عاليهم يا ضمير قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للخدمين (وسقام ربهم شرا با طهورا) هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل إلى الملاذ الحسية والركون إلى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلباقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الأبرار (إن هذا) على إضمار القول أى يقال لهم إن هذا الذى ذكر من فنون الكرامات (كان لكم جزاء) ٢٢ بمقابلة أعمالكم الحسنة (وكان سعيكم مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب (إننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لاغيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع أن (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرته على الكفار فإن له عاقبة حميدة (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) ٢٤ أى كل واحد من مرتكب الإثم الداعى لك إليه ومن الغالى فى الكفر الداعى إليه وأو للدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه إليه فإن ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهى عن الإطاعة فى الإثم والكفر فيما ليس بإثم ولا كفر وقيل الآثم عتبه فإنه كان ركا با للآثم متعاطيا لأنواع الفسوق والكفور الوليد فإنه كان غالبا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلًا) ودوام على ذكره فى جميع الأوقات أودم ٢٥ على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل ينتظمهما .

٧٦ الإنسان

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾

٧٦ الإنسان

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾

٧٦ الإنسان

وَمَا نَسَاءُ وَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

٧٦ الإنسان

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

- ٢٦ (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في أصالة الليل من مزيد كلفة وخلوص (وسبحه ليلاً طويلاً) وتهجد له قطعاً من الليل طويلاً (إن هؤلاء) * الكفرة (يحبون العاجلة) وينهمكون في لذاتها الفانية (يذرون وراءهم) أي أمامهم لا يستعدون أو ينبنون وراء ظهورهم (يوماً ثقيلاً) لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح
- ٢٨ باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم) لا غيرنا (وشددنا أسرهم) أي أحكنا ربط مفاصلهم بالأعصاب (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم) بعد إهلاكهم (تبديلاً) بديعاً لا ريب فيه هو البعث كما ينبيء عنه كلمة إذا أو بدلنا غيرهم بمن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوماً غيركم
- ٢٩ وإذ للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية (إن هذه تذكرة) إشارة إلى السورة أو الآيات القرآنية * (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) أي فمن شاء أن يتخذ إليه تعالى سبيلاً أي وسيلة توصله إلى ثوابه اتخذ
- ٣٠ أي تقرب إليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أي وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم إذ لا دخل لمشئته العبد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشئته الله عز وجل وقرئ يشاؤون بالياء وقرئ إلا ما يشاء
- * الله وقوله تعالى (إن الله كان عليماً حكيماً) بيان ليكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأمله كل أحد فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه عليه وتقتضيه
- ٣١ حكمته وقوله تعالى (يدخل من يشاء في رحمته) بيان لأحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أي يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف
- * ما ذكر (أعد لهم عذاباً أليماً) أي متناهياً في الإيلام قال الزجاج نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيراً لهذا المضمير وقرئ بالرفع على

٧٧ - سورة المرسلات

(مكية وهي خمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٧ المرسلات

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾

٧٧ المرسلات

فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾

٧٧ المرسلات

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾

٧٧ المرسلات

فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾

٧٧ المرسلات

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾

٧٧ المرسلات

عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾

الابتداء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريراً .

(سورة المرسلات مكية إلا آية ٤٨ فدية وآياتها خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والمرسلات عرفاً) (والعصافات عصفاً) (والناشرات نشراً) (٣٠، ٣١)
 (فالفرقات فرقاً) (فالملقيات ذكراً) إقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره ٥٤
 فعصففن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالأمر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في
 الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الاقطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل
 بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقین ذكراً إلى الانبياء (عذراً) للحقین (أو نذراً) للبطلين ٦
 ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الإلقاء للإيذان بكونها غاية للإلقاء حقيقة بالاعتناء
 بها أو للإشعار بأن كلا من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة
 بها التفضيم والإجلال بالإقسام بهن ولوجيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الإلقاء والنشر
 والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو إقسام برباح عذاب أرسلهن فعصففن وبرياع رحمة
 نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفاً أو بسحاب نشرن الموت ففرقن كل
 صنف منها عن سائر الأصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى
 وبين من يكفر به فالقین ذكراً إما عذراً للمعتدين إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم

٧٧ المرسلات

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ⑦

٧٧ المرسلات

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧

٧٧ المرسلات

وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨

٧٧ المرسلات

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ⑩

٧٧ المرسلات

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ⑪

٧٧ المرسلات

لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫

٧٧ المرسلات

لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬

٧٧ المرسلات

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑭

لأن آثار رحمته تعالى في الفيث ويشكرونها وإما إنذاراً للذين يكفرونها وينسبونها إلى الأنواء وإسناد
إلقاء الذكر إليهم لكونهم سبياً في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو إقسام بآيات القرآن
المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق
الأرض ومقاربها وفرق بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في أكناف العالمين والعرف إما تقيض
النكر وانتصابه على العلة أي أرسلنا للإحسان والمعروف فإن إرسال ملائكة العذاب معروف للأنبياء
عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران
من عذر إذا عا الإساءة ومن أنذر إذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكر أو على العلية وقرنا
بالتثنية (إن ماتوعدون لواقع) جواب للقسم أي إن الذي توعده من مجيء القيامة كائن لا محالة
٧ (فإذا النجوم طمست) محيت ومحقت أو ذهب بنورها (وإذا السماء فرجت) صدعت وفتحت
٩٠٨ فكانت أبواباً (وإذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بساً
١٠ وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء إذا اختلطفته وقرىء طمست وفرجت ونسفت
١١ مشددة (وإذا الرسل أقيت) أي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أنهم وذلك عند مجيئه
وحضوره إذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرىء وقت على الأصل
١٢ وبالتخفيف فيهما (لأي يوم أجلت) مقدر بقول هو جواب لإذا في قوله تعالى وإذا الرسل أقيت
أو حال من مرفوع أقيت أي يقال لأي يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسول والمراد تعظيم ذلك اليوم
١٣ والتعجب من هوله وقوله تعالى (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو الذي يفصل فيه بين الخلائق
١٤ (وما أدراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ أدراك خبره أي شيء جعلك دارياً ما هو فوضع موضع الضمير

المرسلات ٧٧

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩

المرسلات ٧٧

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ⑪

المرسلات ٧٧

ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ⑫

المرسلات ٧٧

كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ⑬

المرسلات ٧٧

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑭

المرسلات ٧٧

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑮

المرسلات ٧٧

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ⑯

المرسلات ٧٧

إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ⑰

المرسلات ٧٧

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ⑱

يوم الفصل لزيادة تفضيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيد خبرية مالا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيد عكسه (ويل يومئذ للمكذبين) أى فى ذلك ١٥ اليوم الهائل وويل فى الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته (ألم نهلك الأولين) كقوم نوح وعاد وثمود ١٦ لتكذيبهم به وقرىء نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه (ثم تتبعهم الآخرون) بالرفع على ثم ١٧ نحن تتبعهم الآخرون من نظر انهم السالكين لمسلكتهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرىء ثم سنتبعهم وقرىء تتبعهم بالجزم عطفاً على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل التفضيع (نفعل بالمجرمين) أى سنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ) أى يوم إذ أهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله تعالى وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا (ألم نخلقكم) أى ألم نقدركم (من ماء مهين) أى من نقطة قدرة مهينة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (إلى قدر ٢٢، ٢١ معلوم) إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرونا) ٢٣ أى فقدروناه وقد قرىء مشدداً أو فقدرونا على ذلك على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل (فنعم القادرون) أى نحن .

٧٧ المرسلات

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

٧٧ المرسلات

أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٦﴾

٧٧ المرسلات

أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٧﴾

٧٧ المرسلات

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شِمَخَتْ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٨﴾

٧٧ المرسلات

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٩﴾

٧٧ المرسلات

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣٠﴾

٧٧ المرسلات

أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣١﴾

٢٥، ٢٤ (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة (ألم نجعل الأرض كفاتاً) الكفات اسم ما يكفت أى يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمم والجماع لما يضم ويجمع أى ٢٦ ألم نجعلها كفاتاً تكفت (أحياء) كثيرة على ظهرها (وأمواتاً) غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الأرض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتاً لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات وقيل انتصابهما ٢٧ على الحالية من محذوف أى كفاتاً تكفتكم أحياء وأمواتاً (وجعلنا فيها رواسي) أى جبالاً ثوابت * (شامخات) طوال الشواهد ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن * وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أو للإشعار بأن فيها ما لم يعرف (وأسقينكم ماء فُرَاتاً) بأن خلقنا ٢٨، ٢٩ فيها أنهاراً ومنايع (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) أى يقال لهم ٣٠ يومئذ للتوبيخ والتفريع انطلقوا (إلى ما كنتم به تكذبون) في الدنيا من العذاب (انطلقوا) خصوصاً * (إلى ظل) أى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرىء انطلقوا على لفظ الماضي لإخباراً * بعد الأمر عن عملهم بموجبه لا اضطرارهم إليه طوعاً أو كرهاً (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسراشق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدى إلى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره .

٧٧ المرسلات

لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ③١

٧٧ المرسلات

إِنَّمَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ ③٢

٧٧ المرسلات

كَأَنَّهُ جُمِلَتْ صِفَرٌ ③٣

٧٧ المرسلات

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ③٤

٧٧ المرسلات

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ③٥

٧٧ المرسلات

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ③٦

٧٧ المرسلات

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ③٧

٧٧ المرسلات

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى ③٨

- (لا ظليل) تهكم بهم أورد لما أومه لفظ الظل (ولا يغني من الهب) أى غير مغن لهم من حر الهب ٣١
 شيئاً (إنما ترمي بشر كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الخليط من الشجر ٣٢
 الواحدة قصرة نحو جمر وجرة وقرىء كالقصر بفتحيتين وهى أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة
 وشجر وقرىء كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرىء كالقصر جمع قصرة (كأنه جملة) قيل هو ٣٣
 جمع جبل والتاء لتأنيث الجمع يقال جبل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة (صفر) فإن الشراة *
 لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل أسود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيهه فى
 العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرىء جمالات جمع جمالة وقد قرىء
 بها وهى الحبل العظيم من حبل السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ
 للمكذبين) (هذا يوم لا ينطقون) إشارة إلى دخولهم النار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما أن ٣٥
 السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون
 فى وقت دون وقت فغير عن كل وقت يوم أو لا ينطقون بشيء ينفعهم فإن ذلك كلاً نطق وقرىء بنصب
 اليوم أى هذا الذى فصل واقع يوم لا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم ٣٦
 فى سلك النفي أى لا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن
 كما لو نصب (ويل يومئذ للمكذبين) (هذا يوم الفصل) بين الحق والباطل والمحق والمبطل (جمعناكم) ٣٧
 خطاب لامة محمد عليه الصلاة والسلام (والأولى) من الأمم وهذا تقرير وبيان للفصل .

٧٧ المرسلات

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ٣٩

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٠

٧٧ المرسلات

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ٤١

٧٧ المرسلات

وَقَوْمًا مِمَّا يَسْتَهْزِئُونَ ٤٢

٧٧ المرسلات

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣

٧٧ المرسلات

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤٤

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٥

٧٧ المرسلات

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ ٤٦

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٧

٧٧ المرسلات

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ٤٨

- ٣٩ (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا) فَإِنْ جَمِيعٌ مِنْكُمْ تَقْدِرُونَ وَتَقْتَدُونَ بِهِمْ حَاضِرُونَ وَهَذَا تَقْرِيعٌ
 ٤٠ لَهُمْ عَلَى كَيْدِهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَإِظْهَارٌ لِعِزِّهِمْ (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حَيْثُ ظَهَرَ أَنَّ لَاحِظَةَ لَهُمْ
 ٤١ ٤٢، ٤٣ فِي الْخُلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ (فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ) (وَفَوَاحٍ) بِمَا
 ٤٣ يَسْتَهْزِئُونَ (أَيْ مُسْتَقَرُّونَ فِي فُنُونِ التَّرَفِّهِ وَأَنْوَاعِ التَّشْمَعِ) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (مُقَدَّرٌ
 بِقَوْلِهِ هُوَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَّقِينَ فِي الْخَبَرِ أَيْ مَقُولًا لَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا
 ٤٤ مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ (إِنَّا كَذَلِكَ) الْجُزْءُ الْعَظِيمُ (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أَيْ فِي عِقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لِأَجْزَاءِ
 ٤٥ أَدْنَى مِنْهُ (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حَيْثُ نَالَ إِعْدَاؤُهُمْ هَذَا الثَّوَابَ الْجَزِيلَ وَهُمْ يَقْوَا فِي الْعَذَابِ الْخَالِدِ
 ٤٦ الْوَيْلِ (كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مَجْرُمُونَ) مُقَدَّرٌ بِقَوْلِهِ هُوَ حَالٌ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ أَيْ الْوَيْلُ ثَابِتٌ لَهُمْ
 مَقُولًا لَهُمْ ذَلِكَ تَذْكِيرٌ لَهُمْ بِحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَبِمَا جَنُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ إِثَارِ الْمَتَاعِ الْفَاسِدِ عَنْ قَرِيبٍ
 عَلَى النِّعَمِ الْخَالِدِ وَعَلَى ذَلِكَ يَأْجُرُهُمْ دَلَالَةُ عَلَى أَنَّ كُلَّ مُجْرِمٍ مَالَهُ هَذَا وَقِيلَ هُوَ كَلَامٌ مُسْتَأَنَفٌ خُوطِبَ
 ٤٧ بِهِ الْمُكَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ بَيَانِ مَا لِحَالِهِمْ وَقَرَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) لِزِيَادَةِ
 ٤٨ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا) أَيْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْكَعُوا وَتَوَاضَعُوا لَهُ بِقَبُولِ وَحْيِهِ وَاتِّبَاعِ
 * دِينِهِ وَارْفُضُوا هَذَا الِاسْتِكْبَارَ وَالتَّخَوُّفَ (لَا يَرْكَعُونَ) لَا يَخْشَعُونَ وَلَا يَقْبَلُونَ ذَلِكَ وَيَصْرُونَ عَلَى مَامٍ

٧٧ المرسلات

وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

٧٧ المرسلات

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

عليه من الاستكبار وقيل إذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون إذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفاً بالصلاة فقالوا لانجى فإنها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين) وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المواخذه (فبأى ٤٩، ٥٠ حديث بعده) أى بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) إذا لم يؤمنوا به وقرئ يؤمنون على الخطاب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المرسلات كتب له أنه ليس من المشركين .

٧٨ - سورة النبأ
(مكية وهي أربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٨ النبأ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ①

٧٨ النبأ

عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ②

(سورة النبأ مكية وآياتها أربعون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (عم) أصله عما لحذف منه الألف إما فرقاً بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصداً للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الأصل ومافها من الإبهام للإيذان بفخامة شأن المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أى عن أى شىء عظيم الشأن (يتساءلون) أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن وضعت لطلب حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الأفعال المتعدية موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً لكنه يرفع بإسناد الفعل إليه ترجيحاً لجانب فاعليته وبحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك ترمى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فإراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عارياً عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما فى المثال المذكور أو واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شىء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضاً فإراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتبارى وقوله تعالى (عن البنا العظيم) بيان لشأن المسؤل عنه لإثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فإن إرادته على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبية على أنه لا نقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليف بأن يعنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شىء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾

٧٨ النبا

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

٧٨ النبا

لله الواحد القهار فمن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمهر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو التحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمهر مفسره وأيد ذلك بأنه قرىء عموا الأظهر أنه مبنى على إجراء الوصل مجرى الوقت وقيل عن الأولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبا العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمهر كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبا العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى (الذي هم فيه مختلفون) ٣ بعد وصفه بالعظيم تأكيداً لخطره إثراً كيد وإشعاراً بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون في الاختلاف فيه فن جازم باستحالته يقول إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما نحن بمعمولين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معاً كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الإنكار فمنهم من ينكره لإنكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعدم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والإثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على أن سؤال الأولين ليزدادوا خشية واستعداداً وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرأ وعناداً يرده قوله تعالى (كلا سيعلمون) الخ فإنه صريح في أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له إذ عليه يدور ٤ الردع والوعيد لأعلى خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى إليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسباً ذكر في التساؤل فإن الافتعال والتفاعل صيغتان متأخيتان كالاستباق والتسابق والاتصال والتناضل إلى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الأخرى لأعلى مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لها ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لا حقيقة في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكلاردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبي عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت - إلى قوله تعالى - ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فإن ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعابير عن لقائهم بالعلم

٧٨ النبيل

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلُونَ ﴿٥﴾

٧٨ النبيل

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾

٧٨ النبيل

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾

٧٨ النبيل

وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾

٧٨ النبيل

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾

٧٨ النبيل

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾

لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل الأول عند النزول والثاني في القيام وقيل الأول للبعث والثاني للجزاء وقرئ سيعلمون بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديداً للردع والوعيد لاهل تقدير قل لهم كما توم فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً) (والجبال أوتاداً) الخ استئناف مصوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته إثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للبالغة في الإلزام والتبكيك والمهاد البساط والفرش وقرئ مهاداً على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يهد له فينوم عليه تسمية للمهدود بالمصدر وجعل الجبال أوتاداً لها إرساؤها بها كما يرسى البيت بالأوتاد (وخلقناكم) عطف على المضارع المنقى بلم داخل في حكمه فإنه في قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الإنكار التقريرى فإنه في قوة أن يقال قد جعلنا الخ (أزواجاً) أصنافاً ذكراً وأنثى ليسكن كل من الصنفين إلى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعايش ويتسنى التناسل (وجعلنا نومكم سباتاً) أى موتاً لأنه أحد التوفيقين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعاً عن الإحساس والحركة لراحة القوى الحيوانية وإزاحة كلاهما والأول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذي فيه يقع النوم غالباً (لباساً) يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلاً للنوم الذي جعل موتاً كما جعل النهار محلاً لليقظة

٧٨ النبأ

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

٧٨ النبأ

وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٢﴾

٧٨ النبأ

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾

٧٨ النبأ

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

- المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشاً) أى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو ١١
أخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً وجعل
كون الليل لباساً عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هرباً من عدو أو يبتأله أو نحو ذلك بما لا مناسبة
له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعاش والحوايج (وبيننا فوقكم سبعا شداداً) ١٢
أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء
مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل
فقط بل للتشويق إليه فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فإذا ورد عليها تمكن عندها
فضل تمكن (وجعلنا سراجاً وهَّاجاً) هذا الجعل بمعنى الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أنه مختص ١٣
بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللشريع أيضاً كما في
قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً وأياً ما كان ففيه إنباء
عن ملاسة مفعوله بشئ آخر بأن يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملاسة مصححة لأن يتوسط
بينهما شئ من الظروف لغواً كان أو مستقراً لكن لإعلى أن يكون عمدة في الكلام بل قيداً فيه كما في
قوله تعالى وجعل بينهما برزخاً وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك ولياً
الآية فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله
تقدمت عليه لكونه نكرة وأياً ما كان فهو قيد في الكلام حتى إذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون
الجعل متعبداً إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشتمه الأمر فيظن
أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة
والوهاب الوقاد المتلألئ من وهجت النار إذا أضاءت أو البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس
والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء (وأنزلنا من المعصرات) ١٤ هى
السحاب إذا أعصرت أى شارفت أن تمصرها الرياح فتقطر كما في أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد
ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات
ووجه ذلك أن الإنزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحاب أو الرياح فقد كان بها كما
يقال أعطاه من يده ويده وقد فسر المعصرات بالرياح ذوات الأعاصير ووجه أن الرياح هى التى

٧٨ النبأ

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾

٧٨ النبأ

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

٧٨ النبأ

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾

- * تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبتدأ للإزالة (ماء ثجاجاً) أى منصباً بكثرة يقال
 نَحَّجَ الماء أى سال بكثرة وثجه أى أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الحج العج والتج أى
 رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرىء ثجاجاً بالحاء بعد الجيم قالوا مناجح الماء مصابه (لنخرج
 به) بذلك الماء (حجاً) يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما (ونباتاً) يقتات كالتبن والحشيش وتقديم
 الحب مع تأخره عن النبات فى الإخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الإنسان (وجنات) الجنة
 فى الأصل هى المرة من مصدر جنة إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثر المظلل بالتفاف أغصانه
 قال زهير بن أبى سلمى [كأن عيني فى غربى مقتلة * من النواضع تسقى جنة سحفاً] وعلى الأرض ذات
 الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والأول هو المراد وقوله تعالى (ألفافاً)
 أى ملتفة تداخل بعضها فى بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخفاف وقيل الواحد لف ككن
 وأكنان أو لفيف كشرى وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة
 بخذف الروائد واعلم أن فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلاثة
 الأول باعتبار قدرته تعالى فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون
 ينتجيه كان على الإعادة أقدر وأقوى الثانى باعتبار علمه وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على
 نمط رائع مستتبِع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن ينفىها بالكلية ولا يجعل
 لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فإن اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها
 كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه
 الأفعال الآفاقية والآلئقية الدالة بفنون الدلالات على حقيقة البعث الموجه للإيمان به فما لكم تخوضون
 فيه إنكاراً وتساملون عنه استهزاء وقوله تعالى (إن يوم الفصل كان ميقاتاً) شروع فى بيان سر تأخير
 ما يتساملون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه
 وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعد إجمالاً أى إن يوم فصل الله عز وجل
 بين الخلاق كان فى علمه وتقديره ميقاتاً وميعاداً للبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليهم من الجزاء
 ثواباً وعقاباً لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدأتوقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حداً للخلاق
 يذتهون فيه ولا ريب فى أنهما بمعزل من التقريب الذى أشير إليه على أن الدنيا تنتهى عند النفخة الأولى

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾

٧٨ النبأ

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾

٧٨ النبأ

- وقوله تعالى (يوم ينفخ في الصور) أى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولاخير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومبادئه وآثاره والصور هو القرن الذى ينفخ فيه لإسرافيل عليه السلام . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبق عندها في الحياة غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبق معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى (فتأتون) فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإذنا بغاية سرعة الإتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا (أفواجا) أى أما كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم أو زمرأ وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها . عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يعضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذروهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد تنانيم الجيف وبعضهم يلبسون جبأبا سابعة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يعضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد تنانيم الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (وفتحت السماء) عطف على ينفخ وصيغة ١٩ الماضى للدلالة على التحقق وقرىء فتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى (فكانت أبوابا) أى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة

٧٨ النبيا

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

٧٨ النبيا

إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾

٧٨ النبيا

لِلطَّاغِينَ مَعَابًا ﴿٢٢﴾

كقوله تعالى وجعلنا الأرض عيوناً كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أى أمره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل الأبواب الطرق والمسالك أى تكشط فيفتح مكانها وتصير طرقاً لا يسدها شيء

٢٠ (وسيرت الجبال) أى فى الجو على هياتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال

تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أى تراها رأى العين ساكنة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذى يسيره الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحووا من الانحاء لا تكاد يتبين حركتها وإن كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال [بارعن مثل الطود تحسب أنهم

وقوف لحاج والركاب تهملج] وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يسدل الله تعالى الأرض ويغير هياتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم

* يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سراباً) أى فصارت بعد تسيرها مثل السراب كقوله تعالى

وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً أى غباراً منتشراً وهى وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسيرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك

عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيزورها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعى

٢١ الذى هو إسرائيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية (إن جهنم كانت

مرصاداً) شروع فى تفصيل أحكام الفصل الذى أضيف إليه اليوم لإثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضم فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه أى لأنها كانت فى حكم الله تعالى وقضائه موضع

٢٢ رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبهم فيها (لطاغين) متعلق بمضمر هو إما نعت لمرصاداً أى

* كانوا للطاغين وقوله تعالى (مآباً) بدل منه أى مرجعاً يرجعون إليه لاحتالة وإما حال من مآباً قدمت

عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكنت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآباً على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فإن المتبادر من كونها مرصاداً لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل إنها مرصاد لأهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازم عليها وهى مآب للطاغين

٧٨ النبأ	لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾
٧٨ النبأ	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
٧٨ النبأ	إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾
٧٨ النبأ	جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾
٧٨ النبأ	إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾
٧٨ النبأ	وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا ﴿٢٨﴾
٧٨ النبأ	وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾

وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لثلاثين سنة منهم أحد وقرئ
أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن في اللطافين ٢٣
وقرئ لبثين وقوله تعالى (أحقاباً) ظرف للبشم أى دهوراً متتابعة كلها مضى حقب تبعه حقب آخر *
إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على
تناهى تلك الأحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى (لا يذوقون فيها ٢٤
بردًا ولا شراباً) (إلا حمياً وغساقاً) جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون فيها شيئاً مامن برد وروح ٢٥
ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حمياً وغساقاً وقيل البرد
النوم وقرئ غساقاً بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم (جزاء) أى جوزوا بذلك جزاء (وفاقاً) ٢٦
ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقاً وقرئ وفاقاً على أنه فعال من وفقه كذا أى
لاقه (إنهم كانوا لا يرجون حساباً) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أى كانوا لا يخافون أن يحاسبوا ٢٧
بأعمالهم (وكذبوا بآياتنا) الناطقة بذلك (كذاباً) أى تكذبياً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على ٢٨
الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب
قال [فصدقها وكذبها] والمرء ينفعه كذابه [واتصابه إما بفعله المدلول عليه بكذبوا أى وكذبوا
بآياتنا فكذبوا كذاباً وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فإن كل من يكذب بالحق فهو كاذب
وقرئ كذاباً وهو جمع كاذب فاتصابه على الحالية أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى
الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذبياً كذاباً مفرطاً كذبه (وكل شيء) ٢٩
من الأشياء التى من جملتها أعمالهم واتصابه بمضمر يفسره (أحصيناه) أى حفظناه و ضبطناه وقرئ *

٧٨ النبأ

فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

٧٨ النبأ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾

٧٨ النبأ

حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾

٧٨ النبأ

وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا ﴿٣٣﴾

٧٨ النبأ

وَكَاسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾

٧٨ النبأ

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾

٧٨ النبأ

جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

- * بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الإحصاء والكتابة من واد واحد أو
 ٣٠ لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو في صفح الحفظ والجملة اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا
 فلن نزيدكم إلا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبه عن التشديد
 في التهديد ولم يراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ
 الغضب مالا يخفى وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل
 ٣١ النار (إن للمتقين مفازا) شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة أى
 إن للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة
 ٣٢ بما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى (حدائق وأعنايا) أى بساكن فيها أنواع الأشجار المثمرة
 ٣٣ وكووما بدل من مفازا (وكواعب) أى نساء فليكن ثديهن وهن النواهد (أترابا) أى لدات
 ٣٤ (وكاسا دهاقا) أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة وقيل فى
 * الكاس (لغوا ولا كذبا) أى لا ينطقون بلغوا ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف
 ٣٦ أى لا يكذبه أو لا يكاذبه (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازا فإنه فى قوة
 أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى
 الكمال شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم
 * (عطاء) أى تفضلا وإحسانا منه تعالى إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء (حسابا) صفة لعطاء
 بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي
 وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحتسب كالدرّك بمعنى المدرك .

٧٨ النبأ

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ٧٨ النبأ

- ٣٧ (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من ربك وقوله تعالى (الرحمن) صفة له وقيل صفة للأول ولياً ما كان في ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة لإشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى (لا يملكون منه خطاباً) استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه وقرىء برفعهما فويل على أنهما خبران لمبتدأ مضمرة وقيل الثاني نعت للأول وقيل الأول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للأول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الأول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للأول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمفعله على رأى من يقول به والأوجه أن يكون كلاماً مرفوعاً على المدح أو يكون الثاني نعتاً للأول ولا يملكون استئنافاً على حاله ففيه ما ذكر من الإشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحاً تابع لما قبله معنى وإن كان منقطعاً عنه إعراباً كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرىء بجر الأول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدأ مضمرة وما بعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لا يملكون لأهل السموات والأرض أى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبغي عنه لفظ الملك خطاباً ما في شيء ما والمراد في قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده وقيل ليس في أيديهم بما يخاطب الله به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملوك فيزيدون فيه أو ينقصون منه (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) قيل الروح خلق أعظم من ٣٨ الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقاً أعظم منه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً والملائكة كلهم صفاً وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم نقله البغوى وقيل هم أشرف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفاً حال أى مصطفىين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفاً صفاً وقيل يقوم الكل صفاً واحداً ويوم ظرف لقوله تعالى (لا يتكلمون) وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) بدل من ضمير لا يتكلمون العائد إلى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من

٧٨ النبأ

ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَقِّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾

إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِثَنِي كُنْتُ

٧٨ النبأ

تُرَابًا ﴿٤٠﴾

مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكده على معنى أن أهل السموات والأرض إذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً أى حقاً فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مرأماً لأعلى معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا ياذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فإنه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفاً لا يملكون فقد اشتبه عليه الشؤن واختلط به الظنون وقيل إلا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً أى حقاً هو التوحيد وإظهار الرحمن في موضع الإخبار للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى (ذلك) إشارة إلى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيمن معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والنفخامة ومحلّه الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفىين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) أى الثابت المتحقق لاحتمال من غير صارف يلوّه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربّه مآباً) فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة وإلى ربّه متعلق بمآباً قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل كأنه قيل وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لاحتمال من شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربّه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالإيمان والطاعة وقال قتادة مآباً أى سيلاً وتعلق الجاربه لمافيه من معنى الإفضاء والإيصال كما مر في قوله تعالى من استطاع إليه سيلاً (إنا أنذرناكم) أى بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها بسائر القوارع الواردة في القرآن (عذاباً قريباً) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقيق إتيانه حتماً ولأنه قريب بالنسبة إليه تعالى وإن رأوه بعيداً وسيرونه قريباً لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر وقوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) فإنه إما بدل من عذاباً أو ظرف لمضمّر هو صفة له أى عذاباً كأننا يوم ينظر المرء أى يشاهد

(مکیہ وھی ست وابعون آیہ)

وَالنُّزْعَتِ غَرْقًا ﴿١٠﴾

وَالنَّشِيطَاتِ نَشِطًا ﴿٦﴾

وَالسَّبَّاحُ سَبْعًا ﴿٢﴾

فَالسَّيِّئَاتِ سَبَقًا ﴿٤﴾

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿١٠﴾

ما قدمه من خير أوشر على أن ما موصولة منصوبة وينظر والعائد محذوف أو ينظر أى شيء قدمت يدها على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما فى قوله تعالى (ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً) ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتنى كنت تراباً فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتنى كنت تراباً فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتصر للجاء من القرناء ثم يرده تراباً فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاء الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده .

(سورة النازعات مكية وآياتها ست وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والنازعات غرقا) (والناشطات نشطا) (والساجحات سبحا) ٣،٢،١
(فالسابقات سبقا) (فالدبرات أمرا) لإقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون ٥،٤
الأرواح من الأجساد على الإطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أو أرواح الكفرة
كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أى يخرجونها من الأجساد
من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها ويسبحون فى إخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر ما يخرج
فليسبقون بأرواح الكفرة إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن
يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الآلام والذات والمطاف مع اتحاد الكل بتزيلي التغيرات الذاتى كما فى قوله

٧٩ النزاعات

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ⑥

٧٩ النزاعات

تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ⑦

[إلى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتاب في المزدحم] للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المحدودة من معظمات الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناضاً لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الآخر إليه والفاء في الأخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله [يا لهف زبابة • صانح فالغانم فالآب] وغرقاً مصدر مؤكد بحذف الزوائد أي لغرقاً في النزاع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج تردّها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزاع كأنها تغرق وانتصاب نشطاً وسبحاً وسبقاً أيضاً على المصدرية وأما أمر أففعول للدبرات وتنكيره للتحويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالساجحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيقهم أي يسرعون فيه فيسبقون إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية والمقسم عليه محذوف تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعث فإن الإقسام بمن يتولى نزاع الأرواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز أن يكون إقساماً بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب غرقاً في النزاع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من برج إلى برج أي تخرج من نشط الثور إذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضاً فتدبر أمرأ نبط بها كاختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة عبر عن الأولى بالنزع وعن الثاني بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التي تنزع القسي يا غرق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها أو يخيلهم التي تنزع في أعنتها نزاعاً تفرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب وتخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب وتسبح في جريها لتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الأول وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأجرام الساكنة أي تتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة كالأرض والجبال وهي النفخة الأولى وقيل الراجفة الأرض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال وقوله تعالى (تتبعها الرادفة) أي الواقعة التي تردف الأولى وهي النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فإنه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون إلا عند النفخة الثانية لتحويل اليوم ببيان كونه موقفاً

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾

٧٩ النازعات

أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾

٧٩ النازعات

يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾

٧٩ النازعات

لداهيتين عظيمتين لا يبق عند وقوع الأولى حتى إلامات ولا عند وقوع الثانية ميت إلا بعث وقام ووجه إضافته إلى الأولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافاً مقرر المضمون الجواب المضمّر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فإنه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) أى يوم ترجف وجفت القلوب قيل ٨ قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهى صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى (أبصارها) ٩ أى أبصار أصحابها (خاشعة) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لقلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند السامع حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء فى المعرفة والجهالة كان جعل الأول عنواناً للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبراً به مقصود الإفادة تحكما بحتا على أن الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشدّهما فضلة بما لا عهد له فى الكلام وأيضاً فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وإن لم يذكر النوع المقابل فإن المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فإن التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضاً كأنه قيل قلوب كثيرة يوم إذ يقع النفختان واجفة أى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجلّة وقال السدى رائلة عن أماكنها كما فى قوله تعالى إذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى (يقولون أننا لمردودون فى الحافرة) حكاية لما يقوله المنكرون ١٠ للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به إثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار أى يقولون إذا قيل لهم إنكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أننا لمردودون بعد موتنا فى الحافرة أى فى الحالة الأولى يعنون الحياة من قولهم رجّع فلان فى حافرة أى فى طريقته التى جاء فيها فخرها أى أثر فيها بمشييه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى فى عيشة راضية أى منسوبة إلى الخير والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيهه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة .

٧٩ النازعات

أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً ١١

٧٩ النازعات

قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢

٧٩ النازعات

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣

٧٩ النازعات

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤

٧٩ النازعات

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٥

- ١١ وقوله تعالى (أئذا كنا عظاماً نخرة) تأكيد لإنكار الرد ونفيه بنسبته إلى حالة منافية له والعامل في إذا مضمّر يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاماً بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة وقرىء إذا كنا على الخبر أو إسقاط حرف الإنكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الأجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير (قالوا) حكاية لكفر آخرهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسط قالوا بينهما للإيذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبى عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع * (تلك إذا كره خاسرة) أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى إن صحت فنحن إذن خاسرون لتكذيبنا بها
- ١٢ وقوله تعالى (فإنما هي زجرة واحدة) تعليل لمقدر يقتضيه إنكارهم لإحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالسكره فإن مداره لما كان استصعابهم إياها رد عليهم ذلك فقليل لا تستصعبوها فإنما هي صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحد وهي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيهاً على كمال اتصالها بها كأنها عينها
- ١٣ وقيل هي راجع إلى الرادفة فقوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) حيثى بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً فى جوفها وعلى الأول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لأن سالكيها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجنهم وقال الراغب هي وجه الأرض وقيل هي أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي أرض يبعدها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الأرض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه
- ١٤ جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب

٧٩ النازعات

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾

٧٩ النازعات

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾

٧٩ النازعات

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَنِيَ ﴿١٨﴾

٧٩ النازعات

وَأَهْدِكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخَشَّيْ ﴿١٩﴾

٧٩ النازعات

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾

- من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أنك إن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام في استماع حديثه كأنه قيل هل أنك حديثه أنا أخبرك به وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاختصاص حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أنك حديثه وقوله تعالى (إذ ناداه ربه بالواد المقدس) ١٦ ظرف للحديث لا للإتيان لاختلاف وقتيهما (طوى) بضم الطاء غير منون وقرىء منونا وقرىء * بالكسر منونا وغير منون فنونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه ندائين أو المقدس مرة بعد أخرى (أذهب إلى فرعون) على إرادة القول وقيل هو تفسير ١٧ للنداء أى ناداه أذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله أن أذهب لأن في النداء معنى القول (إنه طغى) تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به (فقل) بعد ما أتته (هل لك) ١٨ رغبة وتوجه (إلى أن تركى) بحذف إحدى التاءين من تركى أى تنظرو من دنس الكفر والطغيان * وقرىء تركى بالتشديد (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفته عز وجل فتعرفه (فتخشى) ١٩ إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته تعالى قال عز وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقل لا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى والفاء فى قوله تعالى (فأراه الآية الكبرى) فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلاً على تفصيلها فى السور الأخرى فإنه ٢٠ عليه الصلاة والسلام ما أراه إياها عيب هذا الأمر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أن قال إن كنت جئت بأية فأت بها إن كنت من الصادقين والإقامة إما بمعنى التبصير أو التعريف فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهاراً للتجلد ونسبتها إليه عليه الصلاة والسلام بالنظر إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر

٧٩ النازعات

فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾

٧٩ النازعات

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾

٧٩ النازعات

فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾

٧٩ النازعات

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾

٧٩ النازعات

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾

إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فإنها كانت المقدمة والأصل والأخرى كالتبع لها أوهما جميعاً وهو قول مجاهد فإنهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الأمور التى كل منها آية بينة أقوم يعقلون كما فى سورة طه ولا مسأغ لملها على مجموع معجزاته فإن ماعداهاتين الآيتين من الآيات التسع إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهمل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الأعراف ولأريب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعد

٢١ بعد (فكذب) بموسى عليه السلام وسمى معجزاته سحراً (وعصى) الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر وجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجتراً على إنكار وجود رب العالمين رأساً وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية

٢٢ لا يارسال بنى إسرائيل من الأسر والقسر فقط (ثم أدبر) أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس * (يسعى) أى يجتهد فى معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشياً عن

وصفه بالإقبال وقيل أدبر هارباً من الثعبان فإنه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمون فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً من قومه وقيل لأنها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلاك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه أن

٢٣ ذلك كان قبل الإصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى (فحشر) أى لجمع السحرة لقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده أى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس (فنادى) فى الجمع بنفسه

٢٥، ٢٤ أو بواسطة المنادى (فقال أنا ربكم الأعلى) قيل قام فيهم خطيباً فقال تلك العظيمة (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينسلك من

٧٩ النازعات

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾

٧٩ النازعات

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾

٧٩ النازعات

رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾

٧٩ النازعات

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾

رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصيغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أى أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لأجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه بنكال الآخرة والأولى وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى إليها لاحتمال وقيل المراد بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيرى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة

- فالإضافة لإضافة المسبب إلى السبب (إن في ذلك) أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به ٢٦ (لعبرة) عظيمة (لمن يخشى) أى لمن شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى (أتأتم ٢٧ أشد خلقاً) خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبة في زعمهم بطريق التوييح والتبسكت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب في تقديركم (أم السماء) أى أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على * تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى (بناها) الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما * عطش عليه من الأفعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى (رفع سمكها) ٢٨ بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعد لها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب * والتداوير وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أصر فلان إذا صلحه (وأغطش ليلها) ٢٩ أى جعله مظلاً يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضاً أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) أى أبرز نهارها عبر * عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام

٧٩ النزعات

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾

٧٩ النزعات

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾

٧٩ النزعات

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾

وأكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحي إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتهما ويجوز أن تكون إضافة الضحي إليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحي لأنه وقت قيام سلطانها وكال إشراقها (والأرض بعد ذلك دحاهها) أى بسطها ومهدا لسكنى أهلها وتقليبهم فى أقطارها ٣٠ وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاهها (أخرج منها ماءها) بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً * (ومرعاها) أى رعيها وهو فى الأصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى مفعول وتجريد الجملة عن العاطف إما لأنها بيان وتفسير لدحاهها وتكلمة له فإن السكى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكّل والمشرب حتّى وإما لأنها حال من فاعله يا ضمير قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش كما فى قوله تعالى أو جاءكم حصرت صدورهم (والجبال) منصوب بمضمر يفسره (أرساها) أى أثبتا وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبية على أن الرسو المنسوب إليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو يارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلاً عن إثباتها للأرض وقرىء والأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكرهما مع تقدم الإرساء عليه وجوداً وشدة تعلقه بالدحو لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكّل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى إلى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس كهية الفهر عليه دخان ملتزم بها ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رقاً ففتقنهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أننكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين - إلى قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهى دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لاعلى تقديرها فهو وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث فى الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق منه اليابسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم

٧٩ النازعات.

مَنْعًا لَكُمْ وَلِتَنْمِلَكُمْ ﴿٣٣﴾

٧٩ النازعات

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾

٧٩ النازعات

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾

الإثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويحمل بعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لافي الوجود لما عرفت من أن انتصاب الأرض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود وفائدة تأخيرها في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ماروى عن الحسن نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو هي بمزول من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها إلا على تقدم تقدير الأرض وما فيها على إيجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلاً إذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى (متاع لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتعاً لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر من البسط ٣٣ والتمهيد وإخراج الماء والمرعى وأصله إليهم وإلى أنعامهم فإن المراد المرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسل للأنف وقيل مصدر مؤكداً لفعله المضمر أى متعمك بذلك متاعاً أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متعمك بذلك وقوله تعالى (فإذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية العظمى التي تطم على ٣٤ سائر الطامات أى تعلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق الخلائق إلى محشرهم وقيل التي يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاع لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبى منه لفظ المتاع (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) قيل هو بدل من إذا جاءت والأظهر أنه منصوب ٣٥ بأعنى كما قيل تفسيراً للطامة الكبرى فإن الإبدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلاً من الطامة الكبرى مفتوحاً لإضافته إلى الفعل على رأى الكوفيين أى يتذكر فيه كما

٧٩ النازعات

وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ٣٦

٧٩ النازعات

فَأَمَّا مَنْ طَغَى ٣٧

٧٩ النازعات

وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣٨

٧٩ النازعات

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٩

٧٩ النازعات

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ٤٠

٧٩ النازعات

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٤١

أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول
 ٣٦ الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية (وبرزت الجحيم) عطف على
 جاءت أى أظهرت إظهاراً بيناً لا يخفى على أحد (لمن يرى) كائناً من كان يروى أنه يكشف عنها فتسلط
 فيراها كل ذى بصير وقرىء وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على فيه ضمير الجحيم كما في قوله
 تعالى إذا ذارأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم تراه من الكفار
 ٣٧ وقوله تعالى (فأما من طغى) الخ جواب فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإذا يأتينكم منى هدى الآية
 وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذي تستدعيه غفلة
 النزول ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظام الشئون مالم تشاهده العيون كما مر
 ٣٨ في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أى فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان (آثر
 الحياة الدنيا) الفانية التى هى على جناح الفوات فانهمك فيها متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخوية
 ٣٩ الأبدية بالإيمان والطاعة (فإن الجحيم) التى ذكر شأنها (هى المأوى) أى هى مأواه واللام سادة مسد
 الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما في قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والطرف
 للتعريف لأنهم معروفان وهى إما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية فى الضر وأبيه الحرث المشهورين
 ٤٠ بالغلو فى الكفر والطغيان (وأما من خاف مقام ربه) أى مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى
 * يوم يتذكر الإنسان ماسعى (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد
 ٤١ بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها (فإن الجنة هى المأوى)
 له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان فى أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز
 يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب إذا
 ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى إذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الإنسان ماسعى على طريقة

٧٩ النازعات

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾

٧٩ النازعات

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾

٧٩ النازعات

إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾

٧٩ النازعات

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا ﴿٤٥﴾

قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفاً عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حالاً من الإنسان يا ضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأما من طغى الخ تفصيلاً لحالى الإنسان الذى يتذكر ماسعى وتقسيماً له بحسب أعماله إلى القسمين المذكورين (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) ٤٢
 متى إرساؤها أى إقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى إليه وتستقر فيه وقوله تعالى (فيم أنت من ذكرها) إنكار ورد لسؤال ٤٣
 المشركين عنها أى فى أى شيء أنت من تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها فى شيء لأن ذلك فرع عليك به وأنى لك ذلك وهو بما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غيماً فقد نأى عن الحق وقيل فيم إنكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف لتعليل للإنكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكرها أى إرسالك وأنت خاتم الأنبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فعنى قوله تعالى (إلى ربك منتهاها) على هذا الوجه إليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنها وتفاصيل ٤٤
 أمرها ووقت وقوعها لا إلى أحد غيره وإنما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فعناه إليه تعالى انتهاء علمها ليس لأحد منه شيء ما كائنأ من كان فلا شيء يسألونك عنها وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يحشاها) على الوجه ٤٥
 الأول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكرها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فإن إنكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شيء من ذكرها بما يؤم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيج ذلك ببيان أن المنق عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى إنما أنت منذر من يحشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الأحوال كما تحيط به خبراً لاتعيين وقتها الذى لم يفوض إليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى

الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكرها بيان أن إرساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقي وقرىء منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف صالح الحال والاستقبال فإذا أريد الماضي تعينت الإضافة وتخصيص الإنذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لأنه المنتفع به وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) إما تقرير وتأكيد لما ينبىء عنه الإنذار من سرعة مجيء المنذر به لاسيما على الوجه الثاني أى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الإنذار بها إلا عشية يوم واحد أو ضحاها فلما ترك اليوم أضيف ضحاها إلى عشيته وإما ردلما أدجوه في سؤالهم فإنهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وإن كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه المقام وإنما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الإنذار أو بعد الوعيد تحقيقاً للإنذار ورداً لاستبطائهم والجملة على الأول حال من الموصول فإنه على تقدير الإضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول فى يحشرهم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا إلا ساعة خلا أن الشبه هناك فى الأحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الإنذار بها إلا تلك المدة اليسيرة وعلى الثانى مستأنفة لأجل لها من الإعراب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان بمن حبسه الله عز وجل فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم .

٨٠ - سورة عبس
(مكية وهي إثنان وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٠ عبس

عَبَسَ وَتَوَلَّى ①

٨٠ عبس

أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ②

٨٠ عبس

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ③

(سورة عبس مكية وآياتها إثنان وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (عبس وتولى) (أن جاءه الأعمى) روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد ٢٠١
الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأممية بن
خلف والوليد بن المغيرة يدعهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئني
وعلمني بما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكرمه ويقول إذا رآه مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة
مرتين وقرىء عبس بالتشديد للبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرايين أى لأن
جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماء إما لتهديد عذره في الإقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام
بالقوم والإيذان باستحقاقه بالرفق والرافة وإما لزيادة الإنكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن
الالتفات في قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب أى وأى شيء يجعلك ٣
دارياً بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى (لعله يزكى) استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فإنه مع
إشعاره بأن له شأنًا منافياً للإعراض عنه خارجاً عن دراية الغير وإدراكه مؤذن بأنه تعالى يدرية ذلك
أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوصار الأوزار بالكلية وكلية لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن
الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام للتنبيه على أن الإعراض عنه
عند كونه مرجو التزكى بما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكى كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت
وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلاً .

٨٠ عبس

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرُ ﴿٤﴾

٨٠ عبس

أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ﴿٥﴾

٨٠ عبس

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾

٨٠ عبس

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴿٧﴾

٨٠ عبس

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾

٨٠ عبس

وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾

٨٠ عبس

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى ﴿١٠﴾

٨٠ عبس

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾

- ٤ وقوله تعالى (أو يذكّر) عطف على يزكي داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى (فتنفعه الذكرى) بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفاً على يذكر أى أو يتذكر فتنفعه موعظتك إن لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى إنك طمعت فى أن يتزكى أو يذكّر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع (أما من استغنى) أى عن الإيمان وعمّا عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فأنت له تصدى) أى تصدى وتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكبار وقرئ تصدى بإدغام التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك إلى التصدى له داع من الحرص والنهالك على إسلامه (وما عليك أن لا يزكى) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للإنكار أى أى شيء عليك فى أن لا يتزكى وما له النفي أيضاً (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه مسرعاً طالباً لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو يخشى) أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى إتيانك وقيل يخشى الكبوة إذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه وانتهى وتلهى وقرئ تلهى وتلهى أى يلهيك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصاً لا يذنبى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما . روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (كلا)

٨٠ عبس

فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾

٨٠ عبس

فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾

٨٠ عبس

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾

٨٠ عبس

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾

ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عما دعه إليه من الإيمان والطاعة وما يوجههما من القرآن الكريم مبالغاً في الاهتمام بأمره متهاكاً على إسلامه معرضاً بسبب ذلك عن إرشاد من يسترشده وقوله تعالى (إنها تذكرة) أى موعظة يجب أن يتمعظ بها ويعمل بموجبها تعليل * للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاعتاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى (فمن شاء ذكره) أى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره ١٢ فالضمير ان للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة أو للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لأنها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فإن السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سياتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سياتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما إلى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخطأ يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى (فى صحف) ١٣ متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جىء به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منسوخة من اللوح أو خبر ثان لأن (مكرمة) عند الله عز وجل (مرفوعة) أى فى السماء ١٤ السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر (مطهرة) منزهة عن مساس أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) أى ١٥ كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فإن وظيفتهم التلقى من الوحي لا الكتب منه وإرشاد الأمة بالأمر والنهي وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد السفارة إليهم وكذا حملهم على القراءة لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يسمها إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يسمها وقال القرطبي إن المراد بما فى قوله تعالى لا يمسها إلا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة .

٨٠ عبس

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ①٦

٨٠ عبس

قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ①٧

٨٠ عبس

مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ①٨

٨٠ عبس

مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ①٩

٨٠ عبس

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ②٠

٨٠ عبس

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ②١

٨٠ عبس

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ②٢

٨٠ عبس

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ②٣

- ١٦ (كرام) عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكملونهم ويستغفرون لهم (بررة) اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه (قتل الإنسان) دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى (ما أكفره) تعجب من إفراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به إما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به وأما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر مثنه وتقارب قطريه من الأنباء عن سنخ عظيم ومذمة بالغة مالا غاية وراهه وقوله تعالى (من أى شيء خلقه) شروع في بيان إفراطه في الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة بالشكر والطاعة مع إخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى (من نطفة خلقه) تحقير له أى من أى شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه (فقدره) فيها لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقه وقوله تعالى (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الإضافة للإشعار بعمومه (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يوارى فيه تكريمة له ولم يدعه مطروحاً على وجه الأرض جرزاً للسباع والطيور كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره إذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الإمامة من النعم لأنها وصلة في الرحلة إلى الحياة الأبدية والنعم المقيم (ثم إذا شاء أنشره) أى إذا شاء لإنشاره أنشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الإنشار بمشيئته تعالى لإيدان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرىء أنشره (كلا) ردع للإنسان

٨٠ عبس

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤

٨٠ عبس

أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥

٨٠ عبس

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦

٨٠ عبس

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧

- عما هو عليه وقوله تعالى (لما يقض ما أمره) بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام إلى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الإنسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم إما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند إلى الكل كما في قوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار للإشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وإما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب السلبى فالمعنى لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعم الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلاً هذا وقد قيل كلا بمعنى حقاً فيتعلق بما بعده أى حقاً لم يعمل بما أمره به (فلينظر الإنسان ٢٤ إلى طعامه) شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر إلى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى (أنا صببنا الماء صباً) أى الغيث بدل اشتال من ٢٥ طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ أنا على الاستئناف وقرئ أنى بالإمالة أى كيف صببنا إلى آخره أى صببناه صباً عجيباً (ثم شققنا الأرض) أى بالنبات (شقاً) بديعاً لا نقاً ٢٦ بما يشقها من النبات صغراً وكبراً وشكلاً وهيئة وحمل شقها على ما بالكرا بجمع إسناده إلى نون العظمة من قبيل إسناد الفعل إلى سببه ياباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى (فأنبتنا فيها حباً) فإن الشق ٢٧ بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الأمطار أصلاً ولا بينه وبين إنبات الحب بلا مهلة وإنما الترتيب بين الأمطار وبين الشق المذكور وبين إنبات الحب بلا مهلة فإن المراد بالنبات ما نبت من الأرض إلى أن يتكامل النمو وينتقد الحب فإن إنشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنباته تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كإنبائه عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مغل بالمرام

٨٠ عبس

وَعَنْبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾

٨٠ عبس

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾

٨٠ عبس

وَحَدَاقٍ غُلْبًا ﴿٣٠﴾

٨٠ عبس

وَفَكْهَةً وَأَبَا ﴿٣١﴾

٨٠ عبس

مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٢﴾

٨٠ عبس

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٣﴾

٨٠ عبس

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾

- ٢٨ وقوله تعالى (وعنباً) عطف على حباً وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا خير في خلوه إنبات العنب عن شق الأرض (وقضباً) أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه
- ٢٩ مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثرة نفس القطع (وزيتوناً ونخلاً) الكلام فيهما وفي أمثالهما كما في العنب
- ٣٠ (وحدائق غلباً) أى عظاماً وصف به الحدائق لتكاثرها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ
- ٣١ مستعار من وصف الرقاب (وفاكهة وأباً) أى مرعى من أبه إذا أمه أى قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهاى له لأنه متهى للرعى أو فاكهة يابسة تروى للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعاً لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتعاً لكم ولما أسيكم فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها غلب لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان وإما مصدر مؤكد لفعله المضمر بخذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعاً أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعاً أى تمتعاً كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فإن ما ذكر من الأفعال الثلاثة فى معنى التمتع (فإذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصح لها الخلاق أى يصيخون لها من صرخة حديثه إذا أصاح له واستمتع وصفته بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصح الأذان أى تصمها لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صخه بالحجر أى صكه وقوله تعالى (يوم يفر المرء من

٨٠ عبس

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ⑤

٨٠ عبس

وَصَاحِبْتِهِ وَبَنِيهِ ⑥

٨٠ عبس

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ⑦

٨٠ عبس

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ⑧

٨٠ عبس

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ⑨

٨٠ عبس

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ⑩

٨٠ عبس

تَرَهَّقَهَا قَتَرَةٌ ⑪

أخيه (وأمه وأبيه) (وصاحبه وبنيه) إما منصوب بأعنى تفسيراً للصاحبة أو بدل منها مبنى على ٣٦٠٣٥ الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأى الكوفيين وقيل بدل من إذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئاً أو بالخذل من مطالبتهم بالتبعات فإياه قوله تعالى (لكل امرئ ٣٧ منهم يومئذ شأن يغنيه) فإنه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به وأما الفرار حذار من مطالبتهم أو بغضاً لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يفر قاييل من أخيه هائل ويفر النبی صلى الله عليه وسلم من أمه ويفر إبراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لثلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرىء يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهيم من عناء الأمر إذا أهمله أى أوقعه فى الهم ومنه من حسن إسلام المرء تركه مالا يعينه لامن عناء إذا قصده كما قيل وقوله تعالى (وجوه يومئذ ٣٨ مسفرة) بيان لما ل أمر المذكورين وانقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أى مضىة متعلقة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما أغبرت فى سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعم المقيم والبهجة الدائمة (ووجوه ٣٩ ٤٠ يومئذ عليها غبرة) أى غبار وكدورة (ترهقها) أى تملوها وتمشأها (قرة) أى سواد وظلمة . ٤١

١٥٥ - أبى السعود ج ٩ ،

٨١ - سورة التكوير
(مكية وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨١ التكوير

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾

٨١- التكوير

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾

٤٦ (أولئك) إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجاتهم في سوء الحال . أى أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره (هم الكفرة الفجرة) الجامعون بين الكفر والفجور . فلذلك جمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الفجرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة وجهه ضاحك مستبشر .

(سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا الشمس كورت) أى لفت من كورت العمامة إذا لفتها على أن المراد بذلك إما رفعها وإزالتها من مقرها فإن الثوب إذا أريد رفعه يلف لفاً ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء وأما لف ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الأقطار على أنه عبارة عن إزالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طلعته فكوره إذا ألقاه على الأرض وعن أبي صالح كورت فكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تسكويرها إدخالها في العرش ومدار التركيب على الإدارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل تسكويرها المذكور وعند البعض على الابتداء (وإذا النجوم انكدرت) أى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم إلا سقط في الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأينى ملائكة من نور فإذا مات من في السموات ومن في الأرض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطلاس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليرأها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (وإذا الجبال سيرت) أى عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لافى الجو فإن ذلك بعد النفخة الثانية
- ٢
- ٣

٨١ التكويم

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

٨١ التكويم

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾

٨١ التكويم

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

٨١ التكويم

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

٨١ التكويم

وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾

٨١ التكويم

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾

- (وإذا العشار) جمع عشاء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع تمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مهمة لاشتغال أهلها بأنفسهم * وقيل العشار السحائب فإن العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرأو تعطيلها عدم أمطارها وقرى عطلت بالتخفيف (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص ٥ قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت تراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرى حشرت بالتشديد (وإذا البحار سجرت) أي أحميت ٦ أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بجرأ واحداً من سجر التنور إذا ملأه بالخطب ليحمله وقيل ملئت نيراناً تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرى سجرت بالتخفيف (وإذا النفوس زوجت) أي قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكها أو بكتباها ٧ أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالحوار ونفوس الكافرين بالشياطين (وإذا الموءدة) أي المدفونة حية وكانت العرب تد البنت مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن قيل كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت ألبسها جبنة من صوف أو شعر حتى إذا بلغت ست سنين ذهب بها إلى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها وإن ولدت ابناً حبسته (سئلت) (بأي ذنب قتلت) توجيه ٩ السؤال إليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لو أئدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين وقرى سألت أي خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وإنما قيل قتلت لما أن الكلام أخبار عنها لاحتكاكية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاكية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاكية عن نفسها وقد قرى كذلك وبالتشديد أيضاً وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون

٨١ التكوير

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾

٨١ التكوير

عَلَيْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ﴿١٤﴾

- ١٠ واحتج بهذه الآية (وإذا الصحف نشرت) أى صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتشر عند الحساب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مناقيل الذرو ومناويل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سبوم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال (وإذا السماء كُشِطَتْ) قطعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور
- ١٢ والقافور (وإذا الجحيم سعرت) أى أوقدت لإيقاداً شديداً قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا
- ١٣ بنى آدم وقرئ سعرت بالتخفيف (وإذا الجنة أزلفت) أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة إلى قوله تعالى وإذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية
- ١٤ لا يبعثها للقصاص وست في الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى (علئت نفس ما أحضرت) جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد تمتد يسع ما في سباقها وسباق ما عطف عليها من الحاصل مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف إلا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مبادئه وبعضها من روافده نسب عليها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلاً للخطب وتفظيماً للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفية مخصوصة وهيات معينة حتى إن الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله

فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾

٨١ التكوين

عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب من آية الذهب والفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللب كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقدرى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وأياً ما كان فإسناد إحضارها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكانت أحضرتها في الموقف ومعنى عليها بها حيثشدها أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لأنها كانت مريبة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعاً يعرفه كل أحد ولو جىء بعبارة تدل على خلافه وللرمز إلى أن تلك النفوس العاملة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء الذى أشير إلى بعض بدائع شؤنه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال [قد أترك القرن مصفراً أنامله] وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقاب قاصداً بذلك التماضى في تكثير فرسانه وإظهار براءته من التزديد وأنه بمن يقلل كثير ما عنده فضلاً أن يتزيد فن لو انح النظر الجليل إلا أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة مما يقبل الإفراط والتماضى فيه فإنه في الأول كثيراً ما يود وفي الثانى كثيراً ما أترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التماضى في التكثير حسبما فصل أما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتماضى فيه وإنما الذى يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حيثشدها من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلبه على طريقة قولك لمن تنصحه لذلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإنك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمراً يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعى الوجود كثير الوجود (فلا أقسم بالخنس) ١٥ أى الكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ماعداء النيرين من الدرارى الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى :

٨١ التكوير

الْجَوَارِ الْكُنُسِ ﴿١٦﴾

٨١ التكوير

وَالْبَلِّ إِذَا عَسَّسَ ﴿١٧﴾

٨١ التكوير

وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾

٨١ التكوير

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾

٨١ التكوير

ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾

٨١ التكوير

مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾

٨١ التكوير

وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾

- ١٦ (الجوار الكنس) لأنها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس نخوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوءها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذه من أغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها (والليل إذا عسس) أى أدبر ظلامه أو أقبل فإنه من الأضداد وكذلك سجع قال القراء أجمع المفسرون على أن معنى عسس أدبر وعليه قول العجاج [حتى إذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسسا] وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى إقبال ظلامه أوفق لقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) لأنه أول النهار وقيل إداره أقرب من تنفس الصبح ومعناه
- ١٧ أن الصبح إذا أقبل يقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له مجازاً فقبل تنفس الصبح (لأنه) أى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله
- ٢٠ من جهة الله عز وجل (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى أداء طاعة
- * الله تعالى وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف (عند ذى العرش مكين) ذى مكانة
- ٢١ رفيعة عند الله تعالى عندي إكرام وتشريف لا عندي مكان (مطاع) فيما بين ملائكته المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه (ثم أمين) على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم
- ٢٢ تعظيماً لوصف الأمانة وتفضيلاً لها على سائر الأوصاف (وما صاحبكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبراً وعليهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه إليه بالسكية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين وبين وصفيهما وهو ضعيف إذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه الصلاة والسلام إنما يعلمه بشر أقرى على الله كذباً أم به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة

٨١ التكاوير	وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ ﴿٢٣﴾
٨١ التكاوير	وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾
٨١ التكاوير	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾
٨١ التكاوير	فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾
٨١ التكاوير	إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾
٨١ التكاوير	لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾
٨١ التكاوير	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

(ولقد رآه) أى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع
الشمس الأعلى (وما هو) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الغيب) على ما يخبره من الوحي إليه
وغيره من الغيوب (بضنين) أى يبخل لا يخل بالوحي ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرىء بضنين *
أى بمتهم من الفلن وهى التهمة (وما هو بقول شيطان رجيم) أى قول بعض المستترقة للسمع وهو نفي
لقولهم إنه كهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والغاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحى مبين وليس بما يقولون فى شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها
هذا الطريق الواضح فأين تذهب (إن هو) ما هو (إلا ذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى
(لمن شاء منكم) بدل من العالمين بإعادة الجار وقوله تعالى (أن يستقيم) مفعول شاء أى لمن شاء منكم
الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المتفعون بالتذكير (وما تشاؤون)
أى الاستقامة مشيئة مستتعبة لها فى وقت من الأوقات (إلا أن يشاء الله) أى إلا وقت أن يشاء الله *
تعالى تلك المشيئة أى المستتعبة للاستقامة فإن مشيئكم لا تستبها بدون مشيئة الله تعالى لها (رب العالمين)
مالك الخلق ومربيهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاوير أعاده الله
أن يفضحه حين تنشر صحيفته .

٨٢—سورة الانفطار

(مكية وهى تسعة عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٢ الانفطار

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ①

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ②

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④

٨٢ الانفطار

عَلَيْتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤

(سورة الانفطار مكية وآياتها تسعة عشر)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا السماء انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم
تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبواباً والكلام فى ارتفاع
٣٠٢ السماء كما مر فى ارتفاع الشمس (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت متفرقة (وإذا البحار فجرت)
فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالأجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بجزراً
واحداً وروى أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسيجير عند الحسن
رضى الله عنه وقيل إن مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فإذا فجرت تفرقت وذهبت وقرىء فجرت
٤ بالتخفيف مبنياً للفعول ومبنياً للفاعل أيضاً بمعنى بغت من الفجور نظراً إلى قوله تعالى لا يغيان (وإذا
القبور بعثرت) أى قلب ترابها وأخرج موتاها ونظيره ببحر لفظاً ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث
٥ مع راء ضمت إليهما وقوله تعالى (عليت نفس ما قدمت وأخرت) جواب إذا لكن لاعلى أنها تعلبه
عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه
الفصل بين الخلائق لا أزمانه متعددة حسب تعدد كلمة إذا وإنما كررت لتحويل مافى حيزها من الدواهي
والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وآخر من
سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضاً ما قدم من معصية
وآخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ما قدم من فرض
وآخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى عليها التفصيل حسبما ذكر فيما مر مراراً .

٨٢ الانفطار

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

٨٢ الانفطار

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

٨٢ الانفطار

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

٨٢ الانفطار

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾

٨٢ الانفطار

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

- (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) أى أى شيء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي الثامنة والعراقل الطامة وما سيكون حيثئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للإيدان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مداراً لاغتراره حسباً يغويه الشيطان ويقول له افعل ماشئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فإنه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية إلى خلافه وقوله تعالى (الذي خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للرؤية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدءاً قدر عليه إعادة والتسوية جعل الأعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقه غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد أى صيرك متعدداً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه (فى أى صورة ماشاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى (بل تكذبون بالدين) إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام * كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأتم لا تردعون عن ذلك بل تجترون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأساً أو بدين الإسلام الذى همامن جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالاً ولا جواباً ولا ثواباً ولا عقاباً وقيل كأنه قيل إنكم لا تستقيمون على ما توجه نعمى عليكم وإرشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور ثم قيل أتم لا يتبينون بهذا البيان بل تكذبون بיום الدين وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون مفيدة ١٠ لبطان تكذبهم وتحقق ما يكذبون به أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم .

٨٢ الانقطاع

كِرَامًا كَنِينٍ ⑪

٨٢ الانقطاع

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ⑫

٨٢ الانقطاع

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ⑬

٨٢ الانقطاع

وَأِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ⑭

٨٢ الانقطاع

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ⑮

٨٢ الانقطاع

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ⑯

٨٢ الانقطاع

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ⑰

٨٢ الانقطاع

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ⑱

١٢، ١١ (كراماً) لدينا (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) من الأفعال قليلاً وكثيراً ويضبطونه تقريراً وقطعيراً لتجاوزوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) (وإن الفجار لفي جحيم) استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل مالا يخفى وقوله تعالى (يصلونها) إما صفة للجحيم أو استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها (يوم الدين) يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به (وما هم عنها بغائبين) طرفة عين فإن المراد دوام نفي الغيبة لانتفي دوام الغيبة لما مر أرأى أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لانتفي الاستمرار باعتبار ما تفيد من الدوام والثبات بعد النفي لاقبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يحدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) (ثم ما أدراك ما يوم الدين) تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به إثر تفخيم وتهويل لأمره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أي صورة تصوره فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم أي وأي شيء جعلك دارياً ما يوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين إلا بالعكس كما هو رأى سيوييه لما مر من أن مدار الإفادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مناط إفادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين أي أي شيء عجيب هو في الهول والفضاعة لما مر غير مرة أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وإن كانت موضوعة

لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب أو طيب وفي إظهار يوم الدين في موقع الإضمار تأكيد لهوله ونخامته وقوله تعالى (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) ١٩ بيان لإجمالى لشأن يوم الدين إثر إبهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق لإنجاز الوعد فإن نفى إدراهم مشعر بالوعد الكريم بالإدراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا يملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء الخ أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فإنه يدريك ما هو وقيل بإضمار يدانون وليس بذاك فإنه عار عن إفادة ما يفيد ما قبله كما أن إبداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حيثئذ الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم .

٨٣ - سورة المطففين
(مكية وهي ست وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٣ المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾

٨٣ المطففين

الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

(سورة المطففين مكية مختلف فيها وآياتها ست وثلاثون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ويل للمطففين) قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الأليم وقيل هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره وقيل وقيل وأياً ما كان فهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يخس شيء طفيف حقيق وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخرجت الناس كيلاً فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجاراً يطففون وكانت يباعاتهم المنازدة والملازمة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر وقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي إذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيأ وافرأ وتبديل كلمة على بمن لتضمنين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضربهم لكن لا على اعتبار الضرر في حين الشرط الذي يتضمنه كلمة إذا لإخلاله بالمعنى بل في نفس الأمر بموجب الجواب فإن المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيأ من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الخيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيل والاحتيال في ملته وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضى أن يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم عليهم وافيأ من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الإطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ماسيكون

٨٣ المطففين

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

٨٣ المطففين

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

٨٣ المطففين

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

٨٣ المطففين

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

- لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدى نفعاً فإن اعتبار كون المكيّل لهم حالاً كان أو ما لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتماً وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة يستوفون ويكون تقديمها على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور إنما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضاً حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الأفراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الأخذ الوافي بما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى (وإذا كالوهم أو وزنوهم) للناس أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه (يخسرون) أي ينقصون ٣ يقال خسر الميزان وأخسره خذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله [ولقد جنيتك أكثوا وعساقلًا] أي جنيت لك وجعل البارز تأكيداً للمستكن بما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإخسار والاقصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) استئناف وارد لتحويل ما ارتكبه من التطفيف والتعجيب ٤ من اجترأهم عليه وأولئك إشارة إلى المطففين ووضع موضع ضميرهم للإشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فإن الإشارة إلى الشيء متعرضة له من حيث انصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللإيدان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز نازلون منزلة الأمور المشار إليها إشارة حسية وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد أي ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون (ليوم عظيم) لا يقدر قدر عظمه وعظم ما فيه ٥ ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فإن من يظن ذلك وإن كان ظناً ضعيفاً متاخماً للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن ييقنه وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ٦

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنْ كَتَبَ الْفُجَّارُ لِنِي سَجِينَ ﴿٧﴾

٨٣ المطففين

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينَ ﴿٨﴾

٨٣ المطففين

كَتَبَ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾

٨٣ المطففين

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾

٨٣ المطففين

الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بَيَّومِ الدِّينِ ﴿١١﴾

٨٣ المطففين

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

٨٣ المطففين

إِذَا نُنَادَى عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسْطِرُّهُ أَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

- أى لحكمه وقضائه منصوب بإضمار أعنى وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبراً لمبتدأ مضمراً أو مجرور بدلاً من يوم عظيم مبنى على الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الأخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الإنكار والتعجب وإيراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى برؤية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف وأمثاله مالا يخفى (كلا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى (إن كتاب الفجار لنى سجين) الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كخاتم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أولاً لأنه مطروح كما قيل تحت الأرض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن إبليس وذريته فالمعنى إن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لنى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى (وما أدراك ما سجين) تهويل لأمره أى هو بحيث لا يبلغه دراية أحد وقوله تعالى (كتاب مرقوم) أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض بقوله تعالى (الذين يكذبون بيوم الدين) إما مجرور على أنه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم (وما يكذب به إلا كل معتد) أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصى قدرة الله تعالى وعلمه عن الإعادة مع مشاهدته للبدء (أثيم) أى منهمك في الشهوات
- ١٣ المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراها من اللذات التامة الباقية وحملته على إنكارها (إذا تنادى عليه) إذا تنادى عليه

٨٣ المطففين

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

٨٣ المطففين

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

٨٣ المطففين

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾

- آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله وإعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه (أساطير الأولين) *
 أى حكايات الأولين قال الكلبي المراد بالمعتدى الإثم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث
 وقيل عام لكل من اتصف بالأوصاف المذكورة وقرئ إذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ إذا تتلى على
 الاستفهام الإنكارى (كلا) ردع للمعتدى الإثم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى ١٤
 (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان لما أدى بهم إلى النفوس بتلك العظيمة أى ليس فى آياتنا *
 ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها
 من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرأة فحال ذاك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله
 عليه وسلم إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا
 والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرئ
 يادغام اللام فى الراء (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرائن (لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا ١٥
 يكادون يروونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لإهاتهم بإهانة من يحجب عن الدخول على الملوك
 وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم لأنهم ١٦
 لصالوا الجحيم) أى داخلوا النار ثم لتراخى الرتبة فإن صلى الجحيم أشد من الإهانة والحرمان من الرحمة
 والكرامة (ثم يقال) لهم توبيخاً وتقريراً من جهة الزبانية (هذا الذى كنتم به تكذبون) فذوقوا ١٧
 عذابه (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع زجر لثرتهم وقوله تعالى (إن كتاب الأبرار لفى عليين) ١٨
 استئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعده بيان سوء حال الفجار متصلاً ببيان سوء حال كتابهم
 وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى
 دون فيه كل ما أعملته الملائكة وصلاح الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك إما لأنه
 سبب الارتفاع إلى أعلى الدرجات فى الجنة وإما لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون
 تسكريماً له وتعظيماً والكلام فى قوله تعالى :

٨٣ المطففين

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ﴿١٩﴾

٨٣ المطففين

كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾

٨٣ المطففين

يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

٨٣ المطففين

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾

٨٣ المطففين

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾

٨٣ المطففين

تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾

٨٣ المطففين

يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾

٨٣ المطففين

خَتَمُهُمْ مَسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾

١٩، ٢٠، ٢١ (وما أدراك ما عليون) (كتاب مرقوم) كما مر في نظيره وقوله تعالى (يشهده المقربون) صفة
 ٢٢ أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة (إن الأبرار لفي نعيم) شروع
 ٢٣ في بيان محاسن أحوالهم لإثبات حال كتابهم على طريقة مأمور في شأن الفجار (على الأرائك) أى
 * على الأسرة في الحجال ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم إلا عند كونه في الحجلة (ينظرون)
 أى إلا ماشاءوا مد أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة
 ٢٤ وإلى أعدادهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك (تعرف في وجوههم نضرة نعيم
 النعيم) أى بهجة التنعم وماء وروقه والخطاب لكل أحد بمن له حظ من الخطاب للإيذان بأن ما لهم
 ٢٥ من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء (يسقون من رحيق) شراب
 ٢٦ خالص لا غش فيه (مختوم) (ختامه مسك) أى مختوم أو أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله
 تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرىء خاتمه بفتح التاء وكسر ها أى
 * ما يحم به ويقطع (وفي ذلك) إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب لما بعده أو إلى ما ذكر من أحوالهم
 وما فيه من معنى البعد إما للإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته أو لكونه في الجنة أى في ذلك خاصة
 * دون غيره (فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل
 العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب في
 الشيء النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشيء أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه
 كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشيء النفيس الذى يحرص

٨٣ المطففين

وَمِمَّا أَجْرُوا مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾

٨٣ المطففين

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

٨٣ المطففين

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾

٨٣ المطففين

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾

- ٢٧ عليه نفوس الناس ويزيده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أى ما يمزج به على الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق . روى أنها تجرى في الهواء متسمة فتصب في أوانهم (عيناً) نصب على الاختصاص وجواز أن يكون حالاً من تسنيم مع كونه جامداً لا تصافه ٢٨ بقوله تعالى (يشرب بها المقربون) فإنهم يشربونها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى * من وقوله تعالى (إن الذين أجمعوا) الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيداً لذكر بعض ٢٩ أحوال الأبرار في الجنة (كانوا) في الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزون بفقرائهم * كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور إما للقصير إشعاراً بغاية شناعة ما فعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على مناج قوله تعالى أفى الله شك أو لمراعاة القواصل (وإذا مروا) أى فقراء المؤمنين (بهم) أى بالمشركين ٣٠ وهم في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً (يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم (وإذا انقلبوا) من مجالسهم (إلى أهلهم انقلبوا فكهين) ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية ٣١ منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين (وإذا رأوهم) أينما كانوا (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى نسبوا المسلمين من رأوهم ٣٢ ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد (وما أرسلوا عليهم) على المسلمين (حافظين) حال من واو ٣٣

٨٣ المطففين

قَالِيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

٨٣ المطففين

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾

٨٣ المطففين

هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيئون على أعمالهم ويشهدون برشدكم وصلاتهم وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظافتهم من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدمهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وإنما قيل عليهم ٣٤ نقلاً له بالمعنى كما فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبرة كما فى قولك حلف لأفعلن (قاليوم الذين آمنوا) * أى المهودون من الفقراء (من الكفار) أى من المهودين وهو الأظهر وإن أمكن التنعيم من الجانبين * (يضحكون) حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعيم والترفة وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقاً للمقابلة أى قاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى (على الأرائك ينظرون) ٣٥ حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما غم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) فإنه صريح فى أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتماً والتوبيخ والإثابة المجازاة وقرئ يادغام اللام فى التاء . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاء الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم .

٨٤ - سورة الإنشقاق
(مكية وهي خمس وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٤ الإنشقاق

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ①

٨٤ الإنشقاق

وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ②

٨٤ الإنشقاق

وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ③

٨٤ الإنشقاق

وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ④

٨٤ الإنشقاق

وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ⑤

(سورة الإنشقاق مكية وآياتها خمس وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا السماء انشقت) أى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام
٢ وعن على رضى الله عنه تنشق من الحجرة (وأذنت لربها) أى واستمعت أى انقادات وأذعنت لتأثير
قدرته تعالى حين تعلقت لإرادته بانشقاقها انقياداً للمأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع والتعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلّة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآية بمنزلة قوله تعالى
أتينا طائعين فى الإبناء عن كون مانسب إلى السماء والأرض من الإنشقاق والمد وغيرهما جارياً على
مقتضى الحكمة كما أشير إليه فيما سلف (وحقت) أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد
أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها
وهى حقيقة بذلك لكن لأعلى أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة
القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضاً
مقررأ لما قبلها لامعطوفة عليه (وإذا الأرض مدت) أى بسطت بإزالة جبالها وآكامها من مقارها
٣ وتسويتها بحيث صارت قاعاً صافئاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً أو زبدت سعة وبسطة من مده بمعنى
أمدّه أى زاده (وألقت ما فيها) أى دمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الأرض
٤ أنقاها (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تسكفت فى ذلك أقصى جهدها
٥ (وأذنت لربها) فى الإلقاء والتخلي (وحقت) أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة

٨٤ الانشقاق

يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فُتْلَقِيهِ ⑥

٨٤ الانشقاق

فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ⑦

٨٤ الانشقاق

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⑧

٨٤ الانشقاق

وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑨

٨٤ الانشقاق

وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ⑩

٨٤ الانشقاق

فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ⑪

٨٤ الانشقاق

وَيَصَلِّي سَعِيرًا ⑫

٨٤ الانشقاق

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ⑬

- الربانية وتكرير كلمة إذا مع اتحاد الأفعال المنسوبة إلى السماء والأرض وقوعاً في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر (يأتيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً) أي جاهد وجاهد إلى الموت وما بعده من الأحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فإن الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث * يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه (فلاقية) أي فلاق له عقيب ذلك لاحالة من غير صارف يلويك ٨٠٧ عنه قوله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه) (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) الخ قيل جواب إذا كما في قوله تعالى فأما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يأتيا الإنسان الخ اعتراض وقيل هو مخذوف للتحويل والإيحاء إلى قصور العبارة عن بيانه أو للتحويل على مامر في سورة التكويد والإنفطار عليه وقيل هو مادل عليه قوله تعالى يأتيا الإنسان الخ تقديره لاقى الإنسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فلاقية وما قبله اعتراض وقيل هو يأتيا الإنسان الخ باضممار القول يسيراً سهلاً لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز ٩ عنه (وينقلب إلى أهله مسروراً) أي عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلاً هاؤم اقرؤا ١٠ كتايه وقيل إلى أهله في الجنة من الخور والعلمان (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمتناه إلى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده ١١ اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبوراً) أي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه ياثبوراه تعال ١٢ فإنه أو أنك وأنى له ذلك (ويصل سعيراً) أي يدخلها وقرىء يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرىء ويصل كما في قوله تعالى ونصلية جهنم (لأنه كان في أهله) فيها بين أهله وعشيرته في الدنيا (مسروراً)

٨٤ الانشقاق

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾

٨٤ الانشقاق

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾

٨٤ الانشقاق

فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفَقِ ﴿١٦﴾

٨٤ الانشقاق

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾

٨٤ الانشقاق

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾

٨٤ الانشقاق

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾

٨٤ الانشقاق

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾

مترفاً بطراً مستبشراً كديدن الفجار الذين لا يهتم ولا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزناً متفكراً في حاله ومآله كسنة الصالحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى (إنه ظن أن لن يحور) تعليل لسروره في الدنيا أى ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى ١٤ تكذيباً للبعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف (بلى) لإيجاب لما بعد لن وقوله تعالى (إن ربّه كان به بصيراً) تحقيق وتعليل له أى بلى ليحورن ١٥ البتة إن ربّه الذى خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيراً بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجمه وحسابه وجزائه عليها حتماً وقيل نزلت الآيتان في أبى سلة بن عبد الأشد وأخيه الأسود (فلا أقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذى يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب (والليل وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فانسق واستوسق ١٧ أى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى إلى مكانه من الدواب وغيرها (والقمر إذا اتسق) ١٨ أى اجتمع وتم بداراً ليلة أربع عشرة (لتركنن طبقاً عن طبق) أى لتلاقن حالاً بعد حال كل واحدة ١٩ منها مطابقة لأختها في الشدة والفضاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الأوفى للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركنن أحوالاً بعد أحوال هى طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرىء لتركنن بالإفراد على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرىء بكسر الباء على خطاب النفس وليركنن بالياء أى ليركنن الإنسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقاً أى طبقاً مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير في لتركنن طبقاً مجاوزين أو مجاوزاً أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون) لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجب على ما قبلها من أحوال القيامة وأحوالها الموجبة

٨٤ الانشقاق

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

٨٤ الانشقاق

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾

٨٤ الانشقاق

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾

٨٤ الانشقاق

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

٨٤ الانشقاق

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

- للإيمان والسجود أى إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أى أى شيء يمنهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحاليلة نسقا على ما قبلها أى فأى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقریش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضى الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فسجدوا وعن الحسن ٢١ هى غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأحوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صنفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما فعليا (فبشرهم بعذاب أليم) لأن الله تعالى بذلك ٢٢ على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع إن جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل إن أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق أعاده الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره .

٨٥ - سورة البروج
(مكية وهي اثنتان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٥ البروج

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①

٨٥ البروج

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ②

٨٥ البروج

وَشَهِيدٍ وَشَهِودٍ ③

٨٥ البروج

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④

(سورة البروج مكية وآياتها اثنتان وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسما ذات البروج) هي البروج الإثنا عشر شبت بالقصور لأنها
تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها أو
٢ أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) أى يوم القيامة
٣ (وشاهد ومشهود) أى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلاق وما يحضر فيه من العجائب وتشكيرا
للإبها فى الوصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفها أو للبالغة فى الكثرة وقيل الشاهد محمد
صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمنه لقوله تعالى وكنت عليهم
شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة
وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالى وبنو آدم وعن الحسن مامن يوم إلا وينادى
إنى يوم جديد وإنى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمى فلو غابت شمسى لم تدركنى إلى يوم القيامة وقيل
الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام (قتل أصحاب الأخدود) قيل هو جواب
٤ القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما فى قول من قال [حلفت لها بالله حلقة فاجر •
لناموا فما أن من حديث ولا صال] وقيل تقديره لقد قتل وأياً ما كان فالجمله خبرية والأظهر أنها
دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم أى كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب
الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وصبرهم عليه من الإيمان
وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على
ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل

٨٥ البروج

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾

٨٥ البروج

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾

بمنزلة أولئك المعذنين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاختود
 الحد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الحق والاختقوق . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع
 منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسداً فأخذ حجراً فقال اللهم
 إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمة والأبرص
 ويشقى من الأدواء وعى جليس لذلك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي
 فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى
 الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به إلى قرقور
 فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة ففرقوا ونجا وقال لذلك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
 في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه
 فوق في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل لذلك نزل بك ما كنت تحذر
 فأمر بأخايد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فن لم يرجع منهم طرحة فيها حتى جاءت امرأة
 معها صبي فتعاسعت فقال الصبي يا أماء اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي
 ما هي إلا غبضة فصبرت قيل أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبغه
 على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضى الله عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو
 سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له اخرج أن تخطب بالناس فتقول إن الله قد أحل لكاح
 الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك إن الله قد حرمة تخطب فلم يقبلوا منه فقالت له أبسط فيهم السوط ففعل
 فلم يقبلوا فقالت أبسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمر بالأخايد ولقياد النار وطرح من أبي فيها
 فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الاختود وقيل وقع إلى نجران رجل من كان على دين
 عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بمنود من حير خيبر بين النار واليهودية
 فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخايد وقيل سبعين ألفاً وذكر أن طول الاختود أربعون
 ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً (النار) بدل اشتغال من الاختود (ذات الوقود) وصف لها بغاية
 العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى
 ٦ (إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل أى لعنوا حين احدثوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها
 من حافات الاختود كما في قوله [وبات على النار الندى والمخلق] .

٨٥ البروج

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾

٨٥ البروج

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾

٨٥ البروج

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

٨٥ البروج

الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ

٨٥ البروج

الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

- (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به ٧
أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وقيل على بمعنى
مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو
الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روى أن الجبارة لما ألقوا المؤمنين
في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين وإلى هذا
القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق (وما نقموا ٨
منهم) أى ما أنكروا منهم وما عابوا (إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استئناف مفصح عن برائتهم *
عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله [ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تلام بنسيان الأحبة
والوطن] ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه وحيداً منعماً يرجى ثوابه وتأكيده ذلك بقوله
تعالى (الذى له ملك السموات والأرض) للإشعار بمناط إيمانهم وقوله تعالى (والله على كل شيء ٩
شاهد) وعد لهم ووعد شديد لمعذبتهم فإن عليه تعالى بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين
يستدعى توفير جزاء كل منهما حتماً (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى منحوم في دينهم ليرجعوا ١٠
عنه والمراد بهم إما أصحاب الأخدود خاصة وبالمفتونين المطر حون في الأخدود وأما الذين بلوهم في
ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا أولياً (ثم لم يتوبوا) أى عن كفرهم *
وفتنهم فإن ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعاً وقوله تعالى (فلهم عذاب جهنم) *
جملة وقعت خبراً لأن أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الأحسن والقاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط ولا ضير في نسخه بأن وإن خالف الأخفش والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب
كفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار أخرى عظيمة بسبب فتنهم للمؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا ١١

٨٥ البروج

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٧﴾

٨٥ البروج

إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٨﴾

٨٥ البروج

وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٩﴾

٨٥ البروج

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿٢٠﴾

٨٥ البروج

فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿٢١﴾

- * (الصالحات) على الإطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها الأنهار) إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحية باعتبار جزئها الظاهر فإن أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مراراً (ذلك) إشارة إما إلى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للإشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيها المتنافسون فإن اسم الإشارة متعرض لذات المشار إليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فإذا أشير إلى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتماً وأما إلى ما يفيد قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فإن حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً وأياً ما كان فافيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحلّ الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك المذكور العظيم الشأن (الفوز الكبير) الذى تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بخذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الأول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله (إن بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم إيداناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الأخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتقاعف وهو بطشه بالجسارة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد (إنه هو يبدئ ويعيد) أى هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لأحد فى شيء منهما ففيه مزيد
- ١٣ تقرير لشدته ببطشه أو هو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب وآمن (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أى ذو السلطنة
- * القاهرة وقرىء ذى العرش على أنه صفة ربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرىء بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف
- ١٤
- ١٥
- ١٦

٨٥ البروج

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ١٧

٨٥ البروج

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨

٨٥ البروج

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩

٨٥ البروج

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠

٨٥ البروج

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ٢١

٨٥ البروج

فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢

- وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود) استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة ١٧ والعتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالإشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود (فرعون وثمود) بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ١٨ ما صدر عنهم من التمادى في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشئون الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) لإضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في ١٩ الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فإنهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جنائيتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكون مانطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة (والله من ورائهم محيط) تمثيل لادم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط ٢٠ المحيط وقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد) رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أى ليس الأمر ٢١ كما قالوا بل هو كتاب شريف على الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى وقرىء قرآن مجيد بالإضافة أى قرآن رب مجيد (في لوح محفوظ) أى من التحريف ووصول الشياطين إليه وقرىء محفوظ ٢٢ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرىء في لوح وهو الهواء أى مافوق السماء السابعة الذى فيه اللوح . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات .

٨٦ - سورة الطارق

(مكية وهي سبع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٦ الطارق

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾

٨٦ الطارق

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾

٨٦ الطارق

النَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴿٣﴾

٨٦ الطارق

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

(سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسما والطارق) الطارق في الأصل اسم فاعل من طرق طرقاً وطرقاً إذا جاء ليلاً قال الماوردي وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وإنما سمي قاصداً لليل طارِقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كأنما ما كان ثم أشبع في التوسع حتى أطلق على الصور الخالية البادية بالليل قال [طرق الخيال ولا كليلة مدج * سدكأبارجلنا ولم يتبرج] والمراد هنا الكوكب البادي بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى (وما أدراك ما الطارق) تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا يناها إدراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الأولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره أى وأى شيء أعلمك ما الطارق وقوله تعالى
- ٢ (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم المعنى في الغاية كأنه يثقب الظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به إما الجنس فإن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً لا محالة وإما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي إيراد عند الإقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الإشارة إلى أن ذلك الوصف غير كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه وإجلال عمله
- ٣ مالا يخفى وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما
- ٤

٨٦ الطارق

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾

٨٦ الطارق

خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾

٨٦ الطارق

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

٨٦ الطارق

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾

- ذكر من تأكيد ضخامة المقسم به المستبعد لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما بمعنى إلا أى ما كل نفس إلا عليها حافظ مهيم رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيباً وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراماً الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرىء لما مخففة على أن إن مخففة من الثقلية واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة أى إن الشأن كل نفس لعلها حافظ والفاء فى قوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق) للتنبيه على أن ما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الإنسان أن يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكير حتى يتضح له أن من قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يمل على حافظه ما يرد به وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) استشفاف ٥ وقع جواباً عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فخلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائتين فى الرحم كما ينبى عنه قوله تعالى (يخرج من بين الصلب والترائب) ٦ أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا إن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الأعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبه ويورث الإفراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المنى فذلك خصاً بالذكر وقرىء الصلب بفتحين والصلب بضمين وفيه لغة رابعة هى صالب (لأنه) الضمير للخالق تعالى فإن قوله خلق يدل عليه أى إن ذلك الذى خلقه ابتداء بما ذكر (على ٨ رجعه) أى على إعادته بعد موته (لقادر) لبين القدرة (يوم تبلى السرائر) أى يتعرف ويتصفح ما أسر ٩ فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبيث وهو

٨٦ الطارق

فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٌ ﴿١٠﴾

٨٦ الطارق

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾

٨٦ الطارق

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾

٨٦ الطارق

وَمَا هُوَ بِالْهَزَلِ ﴿١٤﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾

٨٦ الطارق

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

٨٦ الطارق

فَقَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

- ١١، ١٠ ظرف لرجعه (فأله) أى للإنسان (من قوة) فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ينتصر به (والسما
ذات الرجع) أى المطر سمي رجماً لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من يحار الأرض
ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوباً أو لأن الله تعالى يرجعه
١٢ (والأرض ذات الصدع) هو ما تصدع عنه الأرض من النبات أو مصدر من المبنى للفعول وهو
تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فإن وصف السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقة القرآن
الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما فى أنفسهما من شواهدده وهو السر فى التعبير
بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الأرض بالنبات المحاكى للشور حسبما ذكر فى مواقع
١٣ من التنزيل لافى تشققها بالعيون (إنه) أى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ
• حال الإنسان ومعاده (لقول فصل) أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل
١٤ (وما هو بالهزل) ليس فى شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لاهوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به
١٥ الفواة وتخضع له رقاب العتاة (إنهم) أى أهل مكة (يكيدون) فى إبطال أمره وإطفاء نوره (كيداً)
١٦ حسبما نفى به قدرتهم (وأكيد كيداً) أى أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث
١٧ لا يعلمون (فهل الكافرين) أى لا تشغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك أو لا تستعجل به والقاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن الإخبار بتولية تعالى لكيدهم بالذات بما يوجب أمهالهم وترك التصدى
• لمكيدتهم قطعاً وقوله تعالى (أمهلم) بدل من مهل وقوله تعالى (رويداً) إما مصدر مؤكد لمعنى العامل
أونعت لمصدره المحذوف أى أمهلم إما لا رويداً أى قريباً كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أو قليلاً

٨٧ - سورة الأعلى
(مكية وهي تسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①

٨٧ الأعلى

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ②

٨٧ الأعلى

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③

٨٧ الأعلى

كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو في الأصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنها مثل تمشى على رود أى على مهل وقيل تصغيراً رواد مصدراً رود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويداً زيد وكونه حالاً نحو سار القوم رويداً أى متمهلين وفى إيراد البدل بصيغة لا تحتل التكثير وتقسيده رويداً على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه مالا يخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات والله أعلم .

((سورة الأعلى مكية وآياتها تسع عشرة))

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح اسم ربك الأعلى) أى زه اسمه عز وجل عن الإلحاد فيه ١
بالتأويلات الزائفة وعن إطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لأعلى وجه الإعظام والإجلال والأعلى إما صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربى الأعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب على الوجه الأول ومنصوب على المدح على الثانى ٢
لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شىء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى (والذى قدر) إما صفة أخرى للرب كالموصول الأول أو معطوف ٣
عليه وكذا حال ما بعده قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) أى فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغى له طبعاً أو اختياراً ويسره لما خلق له *
بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإزالة الآيات ولو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات

٨٧ الأعلى

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ④

٨٧ الأعلى

بَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑤

٨٧ الأعلى

سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ⑥

٨٧ الأعلى

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ⑦

لرأيت كل منها ماتحار فيه العقول يروى أن الألفى إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن
 تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين
 الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تحطها فتحك عينها
 بورقها وترجع باصرة ياذن الله عز وجل ويروى أن التمساح لا يكون له دبر وإنما يخرج فضلات
 ما يأكله من فمه حيث قبض الله له طائر أو قدر غذاؤه من ذلك فإذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل
 ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأما
 فنون هداياته سبحانه وتعالى للإنسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الإنسانية
 ٤ فما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه إلا العليم الخبير (والذي أخرج المرعى) أى أنبت
 ٥ ما يرعاه الدواب غصناً طرياً يرف (بجعله) بعد ذلك (غناء أحوى) أى درينا أسود وقيل أحوى
 ٦ حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غناء بعد ذلك وقوله تعالى (سنقرئك
 فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لإثـر بيان هدايته تعالى العامة
 لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحي وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين
 وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد اقراء ما أوحى
 الله إليه حينئذ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي فى ضمن الوعد بالإقراء
 أى سنقرئك ما نوحى إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئاً بإلهام
 القراءة فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والإتقان مع أنك أى لاتدرى ما الكتاب وما القراءة ليسكون
 ذلك آية أخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرأه من الآيات البينات من حيث الإعجاز ومن حيث
 الإخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهى والألف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله
 ٧ تعالى (إلا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لاتنسى عما تقرأه شيئاً من الأشياء إلا ما شاء
 الله أن تنساه أبداً بأن نسخ تلاوته والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة
 على عنوان الألوهية المستتعبة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على القلة والندرة كما روى
 أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قراءته فى الصلاة لحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة

وَنُيْسِرُكَ لِلْبَيْسِ ۚ (٨)

٨٧ الأعلى

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ۙ (٩)

٨٧ الأعلى

سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ۚ (١٠)

٨٧ الأعلى

والسلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأساً فإن القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية إذ هو المنفى رأساً لا ما قد ينسى ثم يذكر (لأنه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أى يعلم * مظهر وما بطن من الأمور التي من جملتها ما أوحى إليك فينسى ما يشاء وإن شاء ويبقى محفوظاً ما يشاء لإبقائه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرتك كما ينبىء عنه الالتفات ٨ إلى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسرلى أمرى للإيذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما في قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى نوفقك توفيقاً مستمر الطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علماً وتعليماً واهتداءً وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء في قوله تعالى (فذكر إن نفعك الذكرى) ٩ أى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى إليك واهدم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الأمر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصاً على إيمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم إلا كفرأ وعناداً فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلاً أو بعضاً ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير إلا اعتواً وفجوراً من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للذكرين وإخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظم المكاسين إن سمعوا منك قصداً إلى أنه بما لا يكون والأول أنسب لقوله تعالى (سيدكر من يخشى) أى سيدتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل إن بمعنى إذ كما في قوله تعالى وأتم الأعلان إن كنتم مؤمنين أى إذ كنتم وقيل هي بمعنى ما أى فذكر ما نفعت الذكرى فإنها لا تخلو

٨٧ الأعلى

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪

٨٧ الأعلى

الَّذِي يُصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ⑫

٨٧ الأعلى

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬

٨٧ الأعلى

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑭

٨٧ الأعلى

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮

٨٧ الأعلى

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑯

٨٧ الأعلى

وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ⑰

- ١١ عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع كقوله تعالى سراويل
تقيمكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهرأوى (ويتجنبها) أى الذكرى (الأشقى) من
الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي
١٢ ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) أى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى
١٣ نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها)
* حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه وشم للتراخي في مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أقطع
١٤ من الصلّى (قد أفلح) أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) أى تطهر من الكفر والمعاصي
بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثرت من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة
وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الإخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة
١٥ يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصل) أقام
الصلوات الخمس كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصل وقيل تزكى أى تصدق
١٦ صدقة الفطر وذكر اسم ربه أى كبره يوم العيد فصل أى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) إضراب
عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل إثر بيان ما يؤدى إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات
العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب إما للكفرة فالمراد بإثارة الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان
بها والإعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا
واطمأننوا بها الآية أو للكل فالمراد بإثارة ما هو أعم مما ذكروا لا يخلو عنه الإنسان غالباً من ترجيح
جانب الدنيا على الآخرة في السعى وترتيب المبادئ والالتفات على الأول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني
١٧ كذلك في حق الكفرة وتشديد العتاب في حق المسلمين وقرىء يؤثرون بالياء وقوله تعالى (والآخرة

٨٧ الأعلى

إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾

٨٧ الأعلى

صُّحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

خير وأبقى (حال من فاعل توثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى توثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما أن نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره (إن هذا) إشارة إلى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل إلى ما في السورة جميعاً (لني الصحف الأولى) أى ثابت فيها معناه (صحف إبراهيم وموسى) بدل من الصحف الأولى وفي إيهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى . روى أن جميع ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام .

٨٨ -- سورة الغاشية
(مكية وهي ست وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٨ الغاشية

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ①

٨٨ الغاشية

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ②

٨٨ الغاشية

عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ③

٨٨ الغاشية

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④

(سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتاك حديث الغاشية) قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتى على الإنسان الآية قال قطرب أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام أريد به التعجب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلا الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدايدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والأول هو الحق فإن ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضاً وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) إلى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهة عليه الصلاة والسلام ما أتاني حديثها فما هو فقيل وجوه يومئذ أى يوم إذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه إذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالاً شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والأغلال والخوض في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار وهادها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجدى عليها في الآخرة وقوله تعالى (تصلى) أى تدخل (ناراً حامية) أى متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة

٨٨ الفاشية

تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾

٨٨ الفاشية

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾

٨٨ الفاشية

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

٨٨ الفاشية

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾

الاتسباب إلى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية في الاتسباب إلى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنواناً للوضع قيداً مفروغاً عنه غير مقصود الإفادة وبعضها مناطاً للإفادة تحكم بحسب ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافاً مبيناً لتفاصيل أحوالها (تسقى من عين آنية) أى متناهية في الحر كما في قوله تعالى ٥ وبين حميم أن (ليس لهم طعام إلا من ضريع) بيان لطعامهم إثر بيان شراهم والضريع عيس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل مادام رطباً وإذا دبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويدلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين الآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى ٧ ليس من شأنه الإسمان والإشباع كما هو شأن طعام الدنيا وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعداداً للشبع والسمن إلا أنه لا يفيد شيئاً منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا إفادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الأكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمناً عند انهماهما بل جوعهم عبارة عن اضطرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كشيء يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وإما أن يكون لهم شوق إلى مطعوم ما أو التذاذ به عند الأكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فبهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرامهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيء مانع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرم إلى أكل الضريع فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرم إلى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفي الإغناء منه لمرعاة الفواصل والتوسل به إلى التصريح بنفى كلا الأمرين إذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الإسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لأنه أدخل ٨

٨٨ الغاشية

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةً ⑨

٨٨ الغاشية

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ⑩

٨٨ الغاشية

لَّا نَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ⑪

٨٨ الغاشية

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ⑫

٨٨ الغاشية

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ⑬

٨٨ الغاشية

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ⑭

٨٨ الغاشية

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ⑮

٨٨ الغاشية

وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ⑯

٨٨ الغاشية

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ⑰

في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولأن حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار بما يزيد المحكي حسناً وبهجة والكلام في إعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وإنما لم تعطف عليها إيذاناً بكمال تباين مضمونيها ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم ١٠،٩ أو متنعة (لسعيها راضية) أي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته (في جنة عالية) ١١ مرتفعة المحل أو عالية المقدار (لا تسمع) أي أنت أو الوجوه (فيها لاغية) لغواً أو كلفة ذات لغو أو نفساً تلغو فإن كلام أهل الجنة كله أذكاء وحكم وقرىء لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ١٣،١٢ ورفع لاغية (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علت نفس (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو المقدار (وأكواب) جمع كوب وهو إناء لاعروة له (موضوعة) أي بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها إلى بعض (وزرائي) أي بسط فاخرة جمع زريسة (مبثوثة) أي مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) استئناف مسوق لتقرير مافصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره والهمزة للإنكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلفة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حين الجر على أنها بدل اشتغال من الإبل أي أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين إلى أنها كيف

٨٨ الغاشية

وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

٨٨ الغاشية

وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

٨٨ الغاشية

وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

٨٨ الغاشية

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾

٨٨ الغاشية

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾

٨٨ الغاشية

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾

خلقت خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلقه سائر أنواع الحيوانات فى عظم جشها وشدة قوتها وعجيب
 هيأتها اللانقة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنوء بالأوقار الثقيلة وجرا الأثقال الفادحة إلى
 الأقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى إن أظلماءها لتبلغ العشر فصاعداً واكتفائها
 باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يزعاها سائر البهائم وفى انقيادها
 مع ذلك للإنسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها
 بقطارها كل صغير وكبير (وإلى السماء) التى يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف رفعت) رفعا ١٨
 سحب المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والإدراك (وإلى الجبال) التى ينزلون فى أقطارها ١٩
 وينتفون بمياهها وأشجارها (كيف نصبت) نصبا رصينا فى راسخة لا تميل ولا تميد (وإلى الأرض) ٢٠
 التى يضربون فيها ويتقبلون عليها (كيف سطحت) سطحا بتوامة وتميد وتسمية وتوطيد حسبما
 يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرىء سطحت مشدداً وقرئت الأفعال الأربعة على بناء
 الفاعل للتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظرا التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق
 هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا
 إنذارك ويستعدوا للقاءه بالإيمان والطاعة والفاء فى قوله تعالى (فذكر) لترتيب الأمر بالتذكير على ٢١
 ما ينبى عنه الإنكار السابق من عدم النظر أى فاقصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم
 لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى (إنما أنت مذكر) تعليل للأمر وقوله تعالى (لست عليهم بمصيطر) ٢٢
 تقرير له وتحقيق لمعنى الإنذار أى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم
 بجبار وقرىء بالسين على الأصل وبالإشمام وقرىء بفتح الطاء قيل هى لغة بنى تميم فإن سيطر عندهم
 متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم ٢٣
 فإن لله تعالى الولاية والقهر .

٨٨ الغاشية

فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

٨٨ الغاشية

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾

٨٨ الغاشية

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

٢٤ (فيعذبه الله العذاب الأكبر) الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أي فذكر
 إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الأول
 ٢٥ أنه قرىء ألا على التنبيه وقوله تعالى (إن إلينا إيابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أي إن
 إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لا استقلالاً ولا اشتراكاً وجمع الضمير فيه وفيما
 بعده باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرىء إياهم على أنه فيعال مصدر فيعمل
 من الإياب أو فعال من أوب كفسار من فسر ثم قيل إيوأباً كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء
 ٢٦ فأدغمت الياء الأولى في الثانية (ثم إن علينا حسابهم) في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة
 لافي الزمان فإن الترتب الزماني بين إياهم وحسابهم لا بين كون إياهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى
 فإنهما أمران مستمران وفي تصدير المجلتين بأن وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى كلمة ثم
 المفيدة لبعث منزلة الحساب في الشدة من الإناء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى .
 عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حساباً يسيراً .

٨٩ - سورة الفجر

(مكية وهي ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٩ الفجر

وَالْفَجْرِ ❶

٨٩ الفجر

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ❷

٨٩ الفجر

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ❸

٨٩ الفجر

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ❹

٨٩ الفجر

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ❺

(سورة الفجر مكية وآياتها ثلاثون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والفجر) أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح.
- ٢ إذا تنفس وقيل المراد به صلاته (وليل عشر) هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الآخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام (والشفع والوتر) أى الأشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها
- ٣ وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء (والليل إذا يسر) لمضى كقوله تعالى والليل إذا أدبر والليل إذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة وفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ بإثباتها على الإطلاق وبجذفها في الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الإطلاق (هل في ذلك قسم) الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة
- ٥ حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتنبيهه على أن الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الإخبار على طريقة قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك إشارة إما إلى الأمور المقسم

٨٩ الفجر

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

٨٩ الفجر

إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾

بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو إلى الإقسام بها وأياً ما كان فافيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم أى مقسم * به (لذى حجر) يراه حقيقاً بأن يقسم به لإجلالاً وتعظيماً والمراد تحقيق أن الكل كذلك وإنما أوثرت هذه الطريقة هضمها للخلق وإيذاناً بظهور الأمر أو هل في إقسامى بتلك الأشياء إقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهاوت فيما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهية لأنه يعقل وينهى وحصة أيضاً من الإحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبى عنه قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) الخ فإنه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون كأنه قيل ألم تعلم علماً يقينياً كيف عذب ربك عاداً ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضاً لا شترأكم فيما يوجب من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشماً وقد قيل لأوائهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف وقوله تعالى (إرم) عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أى سبط إرم أو أهل إرم على ما قبل من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالإضافة وأياً ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرىء إرم بإسكان الراء تخفيفاً كما قرىء بورقكم (ذات العمد) صفة لإرم أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان إذا كان طويلاً أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الأساطين على أن إرم اسم بلدتهم وقرىء إرم ذات العمد بإضافة إرم إلى ذات العمد والإرم العلم أى بعاد أهل أعلام ذات العمد على أنها اسم بلدتهم وقرىء أرم ذات العمد أى جعلها الله تعالى رمياً بدل من فعل ربك وقيل هى جملة دعائيه اعترضت بين الموصوف والصفة وروى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فلكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فلك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها أهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابه

٨٩ الفجر

الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ٨

٨٩ الفجر

وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ٩

٨٩ الفجر

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ١٠

٨٩ الفجر

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ١١

٨٩ الفجر

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ١٢

٨٩ الفجر

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣

أنه خرج في طلب لإبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب لإبل له ثم التفت إلى ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة أخرى لإرم أي لم يخلق مثلهم في عظم الأجرام والقوة ٨ حيث كان طول الرجل منهم أربعمئة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرى لم يخلق على إسناده إلى الله تعالى (وتمود) عطف ٩ على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم تمود أخى جديس وهما ابنا عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الأصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتاً نحتوها من الصخر * كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتاً قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألغاً وسبعمئة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذى الأوتاد) وصف بذلك لسكثرة جنوده وخيامهم التي ١٠ يضربونها في منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد (الذين طغوا في البلاد) إما مجرور على أنه صفة للذكورين ١١ أو منصوب أو مرفوع على الذم أي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أي بالكفر وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك) أي أنزل إنزالاً شديداً ١٢، ١٣ على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن إنزاله بالصب للإيذان بكثرة واستمراره وتتابعه فإنه عبارة عن إراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والجوب وإفراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته إلى السوط مع أنه ليس من ذلك القليل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط

٨٩ الفجر

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

٨٩ الفجر

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

٨٩ الفجر

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾

٨٩ الفجر

كَذَلِكَلَّا بَلَّ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

خلط الشيء ببعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدّة أيضاً لأن السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصوب إلى اعتبار تكرّر تعلّقه بالمعذب كما في المعنى الأول فإن كل واحد من هذه المعاني بما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) لتعليل لما قبله وإيدان بأن كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيدهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالمبقات من وقته وهذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة وأنهم لا يفوتونه وقوله تعالى (فأما الإنسان) الخ متصل بما قبله كأنه قيل أنه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيراً وشرّاً فأما الإنسان فلا يهيمه ذلك وإنما مطمّح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها (إذا ما ابتلاه * ربه) أي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفناء في قوله تعالى (فأكرمه ونعمه) تفسيرية فإن الإكرام والتنعيم من الابتلاء (فيقول ربّي أكرم من) أي فضّلني بما أعطاني من المال والجاه حسبما كنت استحققه ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليلوّه أشكر أم يكفر وهو خبر للبتداء الذي هو الإنسان والفناء لمافي أمان معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربّي أكرم من وقت ابتلائه بالإنعام وإنما تقديمه للإيدان من أول الأمر بأن الإكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي (وأما إذا ما ابتلاه) أي وأما هو إذا ما ابتلاه ربه * (فقدّر عليه رزقه) حسبما تقتضيه مشيئته المبذبة على الحكم البالغة (فيقول ربّي أهانن) ولا يخطر بباله أن ذلك ليلوّه أيسر أم يحزر مع أنه ليس من الإهانة في شيء بل التفتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي إلى خسرانها وقرىء فقدر بالتشديد وقرىء أكرمني وأهانني بإثبات الياء وأكرم وأهان بسكون التون في الوقف (كلا) ردع للإنسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى أكرامته على ولم أبتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب إلى قوله الأخير بعيد وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والالتفات إلى الخطاب للإيدان باقتضاء ملاحظة جنائته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيذاً للتشنيع والجمع باعتبار

٨٩ الفجر

وَلَا تَحْضُونَعَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

٨٩ الفجر

وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾

٨٩ الفجر

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

٨٩ الفجر

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾

٨٩ الفجر

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

٨٩ الفجر

وَجِئَاءٌ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

معنى الإنسان إذا المراد هو الجنس أى بل لسكم أحوال أشد شراً بما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة به وقرىء لا يكرمون (ولا تحاضون) بحذف إحدى التامين من تتحاضون أى لا يحض بعضكم بعضاً (على طعام المسكين) ١٨ أى على إطعامه وقرىء تحاضون من المحاضنة وقرىء يحضون بالياء والتاء (وتأكلون التراث) أى الميراث وأصله وارث (أكلأ لما) أى ذالم أى جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والعصيان ويأكلون أنصباهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون) ٢٠ المال حباً جمًّا (كثيراً مع حرص وشرة وقرىء يحبون بالياء (كلا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا) الخ استئناف جىء به بطريق الوعيد تعليلاً للردع أى إذا دكت الأرض دكا متتابعاً حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثاً وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى إذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأياً ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية (وجاء ربك) ٢٢ أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيئته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل (والملك صفاً صفاً) أى مصطفين أو ذوى صفوف فإنه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والإنس (وجىء يومئذ بجهم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً (يومئذ) بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الإنسان) أى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة

٨٩ الفجر

يَقُولُ يَلْبِيتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

٨٩ الفجر

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾

٨٩ الفجر

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

٨٩ الفجر

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾

والقيصة أو يتعظ وقوله تعالى (وأنى له الذكرى) اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أوانه وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أى ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أى وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف بما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتنى عملت لأجل حياتى هذه أو وقت حياتى في الدنيا أعمالاً صالحة أتفزع بها اليوم وليس في هذا التفتى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وإنما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكناً من تقديم الأعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة إليه فكلاً وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى إن كان ممكناً منه فربما يوهم أن من صرف قدرته إلى أحد طرفى الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته إلى أى طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف وإلزام الحجة (فيومئذ) أى يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال (لا يعذب عذابه أحد) (ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواء إذ الأمر كله له أو الإنسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرىء الفعلان على البناء للفعول والضمير للإنسان أيضاً وقيل المراد به أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى (يا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) حكاية لأحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى في معارج الأسباب والمسببات إلى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به في وجودها وسائر شؤونها عن غيره بالكلية وقيل هى النفس المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالجه اشك ما قيل هى الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرىء يا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْآمِنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ أى يقول

٨٩ الفجر

أَرْجِعْنِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾

٨٩ الفجر

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾

٨٩ الفجر

وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر
وقيل عند البعث وقيل عند الموت (ارجعي إلى ربك) أى إلى مواعده أو إلى أمره (راضية) بما
أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل (فادخلي في عبادي) في زمرة عبادي الصالحين
المختصين بي (وادخلي جنتي) معهم أو انتظمي في سلك المقرين واستصيني بأنوارهم فإن الجواهر القدسية
كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي
دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبادي وقرئ في جسد عبادي وقيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدي رضى الله عنهما والظاهر العموم . عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له
نورا يوم القيامة .

٩٠ - سورة البلد

(مكية وهي عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٠ البلد

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ①

٩٠ البلد

وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ②

٩٠ البلد

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③

(سورة البلد مكية وآياتها عشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الإنسان خلق بمنوا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى
- ٢ (وأنت حل بهذا البلد) إما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بعمل حوله به مناطاً لإعظامه بالإقسام به أو للتنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمة قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لاخير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يجرمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون لإخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وأنت حل به في المستقبل كما في قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدى ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لقيونا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام إلا الأذخر (ووالد) عطف على هذا البلد والمراد به إبراهيم وبقوله تعالى (وما ولد) لإسماعيل والنبي صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبي عنه المعطوف عليه فإنه حرم إبراهيم ومنشأ لإسماعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من التفعيم والتعظيم كتشكير والد وإيرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وإيماء إلى أنه متحقق في حالي الوالدية والولدية

٩٠ البلد

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾

٩٠ البلد

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾

٩٠ البلد

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ﴿٦﴾

٩٠ البلد

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

٩٠ البلد

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

٩٠ البلد

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

٩٠ البلد

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

٩٠ البلد

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

- وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل إلا أن التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل وكل والد وولده (لقد خلف الإنسان في كبد) ٤
 أى تعب ومشقة فإنه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى نزاعها وماوراءه يقال كبد الرجل كبدًا إذا وجعت كبده وأصله كبده إذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استمع في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يكابده من كنفار قریش والضمير في قوله تعالى (أيحسب) لبعضهم الذى كان عليه الصلاة والسلام ٥
 يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الأشد بن كادة الجحى وكان شديد القوة مغترًا بقوته وكان يبسط له الأديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعاً ولا تزل قدماء أى أیظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين (أن لن يقدر عليه أحد) *
 أن مخففة من أن واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف أى يحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد (يقول أهلك ما لا لبداً) يريد كثرة ما أنفق فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ٦
 ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه (ألم نجعل ٨٠٧
 له عينين) يبصر بهما (ولساناً) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على ٩
 النطق والأكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) أى طريقى الخير والشر أو التدين وأصل النجد ١٠
 المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها ١١
 ٢١ - أبى السعود ج ٩ ،

- ٩٠ البلد وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫
- ٩٠ البلد فَكَ رَقَبَةٍ ⑬
- ٩٠ البلد أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭
- ٩٠ البلد يَتَبَا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮
- ٩٠ البلد أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯
- ٩٠ البلد ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ⑰
- ٩٠ البلد أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑱
- ٩٠ البلد وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعَايِنُنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲
- ٩٠ البلد عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ⑳

- ١٢ بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى أى شيء أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة (فك رقبة) أى هو إعتاق ١٣ ١٦، ١٥، ١٤ رقبة (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) أى بجاعة (يتبا ذا مقربة) أى قرابة (أو مسكيناً ذا متربة) أى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لآعلى الماضى فإنها لا تسكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتبا أو مسكيناً والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب من النسب وترب إذا افتقر وقرىء فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الإيمان ورفعة عمله ١٧ * لا شراط جميع الأعمال الصالحة به (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضاً بانصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه * للإيدان ببعدهم درجاتهم في الشرف والفضل أى أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة (أصحاب الميمنة) أى اليمين أو اليمين (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو ١٩ ٢٠ بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) أى الشمال أو الشؤم (عليهم نار مؤصدة) مطبقة من آصدت الباب إذا

٩١ - سورة الشمس
(مكية وهي خمس عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩١ الشمس

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾

٩١ الشمس

وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾

٩١ الشمس

وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾

٩١ الشمس

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾

٩١ الشمس

وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾

٩١ الشمس

وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾

أطبقت وأغلقتة وقرىء موصدة بغير همزة من أوصدته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة .

(سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والشمس وضحاها) أى ضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة
- ٢ ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر إذا تلاها) بأن طلع بعد غروبها وقيل إذا تلا طلوعه طلوعها وقيل إذا تلاها فى الاستدارة وكال النور
- ٣ (والنهار إذا جلاها) أى جلى الشمس فإنها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه
- ٤ أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها (والليل إذا يغشاها) أى الشمس فيغطى ضوءها أو الآفاق أو الأرض وحيث كانت الواوات العاطفة نواب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسددهما معاً فى قولك أقسم بالله حققن أن يعلمان عمل الفعل والجار جميعاً كما تقول ضرب زيد عمرأ وبكر وخالدأ (والسما وما بناها) أى ومن بناها وإثار ما على من لإرادة الوصفية
- ٥ تفخيماً كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها وجعلها مصدريه مغل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى (والأرض وما طحاها) أى بسطها من كل جانب كدحاها .
- ٦

٩١ الشمس

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾

٩١ الشمس

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

٩١ الشمس

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيْنَاهَا ﴿٩﴾

٩١ الشمس

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّيْنَاهَا ﴿١٠﴾

٩١ الشمس

كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَيْهَا ﴿١١﴾

٩١ الشمس

إِذَا أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾

٩١ الشمس

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾

- ٧ (ونفس وما سواها) أى أنشأها وأبدعها مستعدة لكالاتها والتشكير للنفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب (فألهمها فجورها وتقواها) أى أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدى إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمرعاة القواصل (قد أفلح من زكّاها) أى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلّاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى (وقد خاب من دساها) لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيذان بتعلق القسم به أيضاً أسالة أى خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دس كقتضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وإنما الجواب ما حذف تعويلاً على دلالة قوله تعالى (كذبت ثمود بطغواها) عليه كأنه قيل ليدمدن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدن على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام وهو على الأول استئناف واردة لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أى كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو أيضاً مصدر كالرجعى
- ١٢ (إذا أنبعث أشقاها) منصوب بكذبت أو بالطغوى أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سلف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعال التفصيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقرب مع اشتراك الكل فى الرضا به (فقال لهم) أى لثمود (رسول الله) أى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة لإيذاناً بوجوب طاعته وبياناً لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى إضافة الناقة إلى الله تعالى فى قوله تعالى (ناقة الله)

٩١ الشمس

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾

٩١ الشمس

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

- أى ذروا ناقة الله (وسقياها) ولا تذودوها عنها فى نوبتها (فكذبوه) أى فى وعيده بقوله تعالى ١٤
ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضمير لهم للأشقيين ولا يلائمه ذكر سقياها
(فعقروها) أى الأشتى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقروها حتى
تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأثامهم وقال الفراء عقروها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس
(فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدممة إذا ألبسها الشحم (بذنوبهم)
بسبب ذنوبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنداز بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنّب
(فسواها) أى الدممة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض أو سواها
فى الهلاك (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوكة فيبقى بعض الإبقاء ١٥
وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله وإن كان من شأنه الخوف
والوار للحال أو للإستئناف وقرىء فلا يخاف وقرىء لم يخف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شىء طلعت عليه الشمس والقمر .

٩٢ — سورة الليل
(مكية وهي إحدى وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٢ الليل	وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ①
٩٢ الليل	وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ②
٩٢ الليل	وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③
٩٢ الليل	إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَيْ ④
٩٢ الليل	فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ⑤
٩٢ الليل	وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥
٩٢ الليل	فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦
٩٢ الليل	وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧

(سورة الليل مكية وآياتها إحدى وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والليل إذا يغشى) أى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل إذا
- ٢ يغشاها أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه (والنهار إذا تجلّى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف
- ٣ بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والأنثى) أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والأنثى
- من كل ماله توألد وقيل هما آدم وحواء وقرىء والذكر والأنثى وقرىء والذى خلق الذكر والأنثى
- ٤ وقيل مامصدرية (إن سعيكم لشي) جواب القسم وشى جمع شيت أى إن مساعيكم لأشياء مختلفة
- ٦٥٥ وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى) (وصدق بالحسنى) الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين
- لأحكامها أى فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى
- وهى الإيمان أو بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهى ملة الإسلام أو بالثوبة
- ٧ الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنيته للخصلة التى تؤدى إلى يسر وراحة كدخول الجنة
- ٨ ومباديه من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها (وأما من بخل) أى بماله فلم يبدله فى سبيل الخير

٩٢ الليل	وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ①
٩٢ الليل	فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَى ②
٩٢ الليل	وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ③
٩٢ الليل	إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ④
٩٢ الليل	وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑤
٩٢ الليل	فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑥
٩٢ الليل	لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑦
٩٢ الليل	الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ⑧

- (واستغنى) أى زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة *
 (وكذب بالحسنى) أى ما ذكر من المعاني المتلازمة (فسنيسره للعسرى) أى للنخلة المؤدية إلى العسر ٩، ١٠،
 والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالإعطاء والبخل مع أن كلا منهما
 أدنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير للعسرى والتيسير للعسرى للإيذان بأن كلا منهما أصل فيما ذكر
 لاتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول بإعطاء الطاعة والثانى
 بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى (وما يغنى عنه) أى ولا يغنى أو أى شيء ١١
 يغنى عنه (ماله) الذى ييخل به (إذا تردى) أى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك أو تردى *
 فى الحفرة إذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (إن علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله أى إن علينا ١٢
 بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى
 إليه من طريق الضلال وما يؤدى إليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا
 الطريقين ترغيباً وترهيباً ومن ههنا تبين أن الهداية هى الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة
 إليها قطعاً (وإن لنا للآخرة والأولى) أى التصرف الكلى فيها كيفما نشاء فنفعل فيها ما نشاء من ١٣
 الأفعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير للعسرى والتيسير للعسرى وقيل إن لنا كل ما فى الدنيا والآخرة
 فلا يضرنا ترككم الاهتداء بهدانا (فأنذرتكم نارا تلظى) بجذف لإحدى التامين من تلظى أى تلهب ١٤
 وقرئ على الأصل (لا يصلها) صلياً لازماً (إلا الأشقى) إلا الكافر فإن الفاسق لا يصلها صلياً ١٥
 لازماً وقد صرح به قوله تعالى (الذى كذب وتولى) أى كذب بالحق وأعرض عن الطاعة . ١٦

٩٢ الليل

وَسَيَجْنِبُهَا الْآتِقَ ①٧

٩٢ الليل

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ①٨

٩٢ الليل

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ①٩

٩٢ الليل

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ②٠

٩٢ الليل

وَلَسَوْفَ يَرْضَى ②١

- ١٧ (وسيجنبها) أى سيبعد عنها (الآتق) المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدى وأما من دونه من يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التباعد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى (يتزكى) إما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لاحتل له أو فى حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى أى يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكياً تامياً لا يريدون به رياء ولا سمعة
- ١٩ (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون إيتائه للتركى خالصاً لوجه الله تعالى أى ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإيتاء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى (إلا ابتغاء وجهه ربى الأعلى) استثناء منقطع من نعمة وقرىء بالرفع على البدل من محل نعمة فإنه الرفع إما على التفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولاً له لأن المعنى لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالاً فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عذب المشركون بلالاً وبلال يقول أحد أحد فرب به النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لأبى بكر رضى الله عنه إن بلالاً يعذب فى الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فأنصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أنيعنى بلالاً قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمرة أى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يستغنيه على أكمل الوجوه وأجلها إذ به يتحقق الرضا وقرىء يرضى مبنياً للمفعول من الإرضاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر .

٩٣ - سورة الضحى

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٣ الضحى

وَالضُّحَى

٩٣ الضحى

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى

٩٣ الضحى

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى

٩٣ الضحى

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى

(سورة الضحى مكية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالإقسام به لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها الصخرة سجداً لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما في قوله تعالى أن يأتهم بأسنا ضحى في مقابلة يياتاً (والليل) أى جنس الليل (إذا سجد) أى سكن أهله أو ركذ ظلامه من سجد البحر سجواً إذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى (ما ودعك ربك) جواب القسم أى ما قطعك قطع المودع وقرئ ٣ بالتخفيف أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك وحذف المفعول إما للاستغناء عنه بذكره من قبل أو * للقصد إلى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للغواصل . روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً لما تركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لجزءه سائلاً ملحاً فقال المشركون إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت رداً عليهم وتبشيراً له عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمترتبة كما يشعر به إيراد اسم الرب المنبئ عن الترتيب والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى أنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأن ما سيؤتيه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل (وللآخرة خير لك من الأولى) لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الإطلاق وهذه فانية مشوبة ٤ بالمضار وما أوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وإن كان بما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل

٩٣ الضحى

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾

٩٣ الضحى

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾

٩٣ الضحى

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض الفادحة في تمشية الأحكام مع أنه عند ما أعد له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادئ بالنسبة إلى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أى لنهاية أمرك خير من بدايته لا تزال تزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه الصلاة والسلام وفي أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ مخدوف تقديره ولأن سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين إحداهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى إلى الله تحشرون وقال أبو على الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك إن زيدا لقائم بل هي التي في قولك لا قوم من ونابت سوف عن إحدى نوني التأكيد فكأنه قيل ويعطيك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره إلى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ویتیا مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادقة ویتیا حال من مفعوله . روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثلث سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك أيواؤه وقرى . فأوى وهو إما من أواه بمعنى آواه أو من أوى له إذا رحمه وقوله تعالى (ووجدك ضالا) عطف على ما يقتضيه الإنكار السابق كما أشير إليه أو على المضارع المنفى بلم داخل في حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فأوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدى

الضحى ٩٣

وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنِي ۝٨

الضحى ٩٣

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩

الضحى ٩٣

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠

الضحى ٩٣

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١

إليها القول كما في قوله تعالى ما كانت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فردّه أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعاً وتضرع إلى الله تعالى فسمعوا منادياً ينادى من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد رباً لا يخذله ولا يضيعه وإن محمداً بوادى تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان والأوراق وقيل أصلته مرضعته حليلة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب . يروى أن إبليس أخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفض إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الهند وردّه إلى القافلة (فهدى) فهداك إلى مناهج الشرائع المنظوية . في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين وعلبك ما لم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك (ووجدك عائلاً) أي فقيراً وقرىء عيلاً وقرىء عديماً (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بمال ٨ حصل لك من ربح التجارة أو بمال أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنّك وأغنى قلبك (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرىء ٩ فلا تكبر أي فلا تعبس في وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً ١٠ جميلاً قال إبراهيم بن أدهم نعم القول السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول أتبعثون إلى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين (وأما بنعمة ربك فحدث) بشكرها وإشاعتها وإظهار آثارها وأحكامها أريد بها ما أفاضه ١١ الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التي من جملتها النعم المودودة الموجودة منها والمودودة والمعنى إنك كنت يتيماً وصلاً وعائلاً فأوالك الله تعالى وهداك وأغناك فمما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك فتعطف على اليتيم فأوه وترحم على السائل وتفقهه بمعرفتك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلبه من الكتاب والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يقيم وسائل .

٩٤ - سورة الشرح

(مكية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٤ الشرح

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①

٩٤ الشرح

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ②

٩٤ الشرح

أَلَدَىٰ أُنْقَضَ ظَهْرَكَ ③

(سورة الشرح مكية وآياتها ثمان)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم نشرح لك صدرك) لما كان الصدر محلاً لأحوال النفس ومخزناً لسرايرها من العلوم والإدراكات والملكات والإرادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليلتها بالكلمات الأنسية أي ألم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والإفادة فما صدك الملابس بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقلك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل أريد به ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسماني مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الإنكارى عن انتفائه للإيدان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للإيدان من أول الأمر بأن الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصلحه مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقاً له إلى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل

٢ تمكن وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول

٣ فتأخير الجار والمجرور عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل الخ حططنا عنك عبأك الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أي حملة على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعى إلى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام بما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام المعاندين

٩٤ الشرح

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿١﴾

٩٤ الشرح

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٢﴾

٩٤ الشرح

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٣﴾

٩٤ الشرح

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٤﴾

٩٤ الشرح

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٥﴾

من قومه وتلطفه ووضع عند مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرىء وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرىء وحللنا عنك وقرىء (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملأ نكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذى سلف وقوله تعالى (فإن مع العسر يسراً) تقرير لما قبله ووعد كريمة بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسراً كثيراً وفي كلمته مع إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارنة للعسر (إن مع العسر يسراً) تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كشواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحتان للصائم فرحة أى فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فإن المعرف إذا أعيد يكون الثانى دين الأول سواء كان معهوداً أو جنساً وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالأول (فإذا فرغت) أى من التبليغ وقيل من الغزو (فانصب) فاجتهد فى العبادة واتعب شكراً لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وقيل فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك (وإلى ربك) وحده (فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إساءة فلك لا غيره وقرىء فرغب أى فرغب الناس إلى طالب ما عنده . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عني .

٩٥ - سورة التين
(مكية وآياتها ثمان آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٥ التين

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾

٩٥ التين

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾

(سورة التين مكية وقيل مدنية وآياتها ثمان)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والتين والزيتون) هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فإن التين فاكهة طيبة لأفضل له غذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وإدام ودواء ولولم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لادھنية فيها لكفى به فضلاً وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالخرقة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الأنبياء قبلى وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبل ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتها كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبي (وطور

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾

٩٥ التين

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

٩٥ التين

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

٩٥ التين

سينين) هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علان للموضع الذي هو فيه ولذلك
 أضيف إليها وسينون كيرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون
 بالحركات الإعرابية (وهذا البلد الأمين) أى الأمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها ٣
 الله تعالى وأما أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول
 من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالأمن في قوله تعالى حرماً آمناً بمعنى ذى أمن ووجه الإقسام
 بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين (لقد خلقنا الإنسان) ٤
 أى جنس الإنسان (في أحسن تقويم) أى كائناً فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى *
 حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الأعضاء متصفاً بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والتكلم
 والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى من أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد
 عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق
 معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال إن النفس الإنسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا
 خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شامت فإذا أرادت فعلاً من الأفاعيل
 الجسدية تلقىه إلى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو أعدل الأرواح وأصفها وأقربها منها
 وأقواها مناسبة إلى عالم المجردات القاء روحانياً وهو يلقى به بواسطة ما فى الشرايين من الأرواح إلى
 الدماغ الذى هو منبت الأعصاب التى فيها القوى المحركة للإنسان فعند ذلك يحرك من الأعضاء ما يلقى
 بذلك الفعل من مبادئ البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فن عرف نفسه على هذه الكيفية
 من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى إلى معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزّه عن
 كونه داخلًا فى العالم أو خارجاً عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتب فيه من الملائكة
 الذين يستدل على شؤونهم بما ذكر من الأرواح والقوى المرتبة فى العالم الإنسانى الذى هو نسخة للعالم
 الأكبر وأنموذج منه وقوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) أى جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح
 من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل
 بمقتضاها لكان فى أعلى عليين وقيل رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة
 كقوله تعالى ومن نعمه ننكسه فى الخلق وأياً ما كان فأسفل سافلين إما حال من المفعول أى رددناه
 حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه مكاناً أسفل سافلين والاول أظهر وقرئ

٩٥ التين

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

٩٥ التين

فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الدِّينِ. ﴿٧﴾

٩٥ التين

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

- ٦ أسفل السافلين وقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الأول استثناء متصل من ضمير رددناه فإنه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى (فلهم أجر غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على إجلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الأول مقرر لما يفيد الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى (فما يكدبك بعد الدين) للرسول صلى الله عليه وسلم أى فإى شيء يكدبك دلالة أو نطقاً بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للإنسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيك أى فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذه الدلائل والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتحويله من حال إلى حال كلاً ونقصاناً من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فإى شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبه أيها الإنسان (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنفاً وتديراً حتى يتوهم عدم الإعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الإعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة .

٩٦ - سورة العلق

(مكية وهي تسعة عشر آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٦ العلق

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①

٩٦ العلق

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②

(سورة العلق مكية وآياتها تسعة عشرة)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرأ) أى ما يوحى إليك فإن الأمر بالقراءة يقتضى المقروء قطعاً ١
وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أو لا والأقرب
أن هذا إلى قوله تعالى ما لم يعلم أول ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهري
المشهور وقوله تعالى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبساً باسمه تعالى *
أى مبتدئاً به لتحقيق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التريية والتبليغ
إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية
القاصية من الكمالات البشرية بإزالة الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى (الذى خلق) لتذكير
أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبية على أن من قدر على خلق الإنسان على
ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن
سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل
شئ وقوله تعالى (خلق الإنسان) على الأول تخصيص لخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات ٢
لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى إفراد للإنسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم
لشأنه إذ هو أشرفهم وإليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضاً خلق
الإنسان ويقصد بتجريده عن المفهول الإبهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى (من علق)
أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى بإظهار ما بين حالته الأولى والآخرة من التباين البين وإيراده بلفظ
الجمع بناء على أن الإنسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين
سائر أطوار الفطرة الإنسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونها أبعد منه
بالنسبة إلى الإنسانية ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى

٩٦ العلق

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٦﴾

٩٦ العلق

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٧﴾

٩٦ العلق

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٨﴾

٩٦ العلق

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغَى ﴿٩﴾

٩٦ العلق

أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى ﴿١٠﴾

وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولاً
 ٣ ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الأمر بقوله تعالى (اقرأ) أى افعَل
 * ما أمرت به تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الأكرم) الخ فإنه كلام مستأنف
 واردة لإزاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما أنا بقارىء يريد أن القراءة شأن من
 ٤ يكتب ويقرأ وأنا أى فقيل له وربك الذى أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه هو الأكرم (الذى علم
 بالقلم) أى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارىء بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونها وقوله
 ٥ تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) بدل اشتغال من علم بالقلم أى علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية
 والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول أولاً وإيراده بعنوان عدم المعلوماتية ثانياً من
 الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والإشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا
 ٦ يخفى (كلاً) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وإن لم يسبق ذكره للبالغه فى الزجر وقوله تعالى
 * (إن الإنسان ليطغى) أى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا
 ٧ إلى آخر السورة نزل فى أبى جهل بعد الزمان وهو الظاهر وقوله تعالى (لئن رآه استغنى) مفعول له
 أى يطغى لأن رأى نفسه مستغنياً على أن استغنى مفعول ثانٍ لرأى لأنه بمعنى علم ولذلك ساغ كون
 فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتى وإن جوزوه بعضهم فى الرؤية البصرية أيضاً وجعل من ذلك
 قول عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الأسودان
 وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينهى عنه قوله تعالى ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا فى
 الأرض للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد . روى أن أباً جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فنندع ديننا وتتبع
 دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب
 المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء لإبقاء عليهم وقوله تعالى :

٩٦ العلق

إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾

٩٦ العلق

عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴿١١﴾

٩٦ العلق

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾

٩٦ العلق

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾

- (إن إلى ربك الرجعى) تهديد للطاغى وتحذيره من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبرشى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أى إن إلى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى (أرأيت الذى ينهى) (عبداً إذا صلى) تقييد وتشنيع لحاله وتعجيب منها وإيدان بأنها من الشناعة ١٠، ٩ والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضى منها العجب . روى أن أبا جهل قال فى ملا من طغاة قريش لئن رأيت محمداً يصلى لأطأن عنقه فراه عليه السلام فى الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال إن بينى وبينه لحدقاً من نار وهولاً وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتأکید التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما ما فى قوله تعالى (أرأيت إن كان على الهدى) (أو أمر بالتقوى) وما فى قوله تعالى (أرأيت إن كذب وتولى) ١٣، ١٢، ١١ فقلبية معناه أخبرنى فإن الرؤية لما كانت سبباً للإخبار عن المرنى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الأمر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الأفعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فإن ذلك ليس فى حيز التردد أصلاً بل باعتبار أو صافها التى هى كونها أمراً بالتقوى وتكذيباً وتولياً كفى قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الأول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود إلى الموصول أو اسم إشارة يشار به إليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فإن المفعول الثانى لأرأيت لا يكون إلا جملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرنى ذلك الناهى إن كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو أمراً بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد أو مكذباً للحق معرضاً عن الصوب كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) أى يطلع على أحواله فيجازه ١٤

٩٦ العلق

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ①٥

٩٦ العلق

نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ①٦

٩٦ العلق

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ①٧

٩٦ العلق

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ①٨

بها حتى أجتأ على ما فعل وإنما أفرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدره باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر واستتباع الوعيد الذي ينطلق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية وهذا وقد قيل أرأيت الأول بمعنى أخبرني مفعوله الأول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الأولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان أمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازهيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلي والمنهى عن الهدى أمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فإنه تعالى كالخاتم الذي حضره الحصان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله تعالى أمراً بالتقوى أتناه وقيل هو أمية بن خلف ①٥ كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع للناهى اللعين وخسوه له واللام في قوله تعالى (لئن لم ينته) موطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنسفعا بالناصية) لناخذن بناصيته ولنسحبته بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرىء لنسفعن بالنون المشددة وقرىء لنسفعن وكتبته في المصحف بالآلاف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وإنما جاز إبدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب المخطئ (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون . روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى نادياً فنزلت (سندع الزبانية) ليجرهوه إلى النار والزبانية

الشرط الواحد زبانية كعفوية من الزين وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزين ثم غير كأمسى وأصلها زباني فقليل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لودعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً (كلا) ردع بعد ردع وزجر إثر زجر (لا تطعه) أى دم ١٩ على ما أنت عليه من معاصاته (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترِب) * وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الأجر كما قرأ المفصل كله .

٩٧ - سورة القدر

(مكية وهي خمس آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٧ القدر

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾

٩٧ القدر

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾

٩٧ القدر

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

(سورة القدر مكية مختلف فيها وآياتها خمس)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أنزلناه في ليلة القدر) تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحلّه بإضمماره المؤذن بغاية نباهته المغنّية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الأذهان ويأسند إنزاله إلى نون العظمة المنبّية عن كمال العناية به وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها إلاعلام الغيوب

٢ كما يشعر به قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فإنه بيان لإجمالي لشأنها لإثّر تشويقه عليه السلام إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بإدائها وقد مر بيان كيفية إعراب الجملتين وفي إظهار ليلة القدر في الموضوعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بإنزاله فيها إما إنزال كله إلى السماء الدنيا كما روى أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأمله جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوماً في ثلاث وعشرين سنة وإما ابتداء إنزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضى الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن وقول عائشة رضى الله عنها لانا أحقر في نفسى من أن ينزل في قرآن فالأنسب أن يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر في إخفائها تعريض من يريد بها للثواب الكثير يا حيّاء الليالى الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالى وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير أو لما روى أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتفاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن رجل فيا معنى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا

٩٧ القدر

تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

٩٧ القدر

سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

- ليلة أن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته نخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك الليلة أى تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض أو إلى السماء الدنيا (ياذن ربهم) متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين ياذن ربهم أى بأمره (من كل أمر) أى من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل إنسان قيل لا يلقون فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلوا عليه (سلام هـ) أى ماهى إلا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضى سلامة وبلاء أو ماهى إلا سلام لكثرة ما يسلبون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمراجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أى لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالابتداء مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيال ليلة القدر .

٩٨ — سورة البينة

(مدنية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ٩٨ البينة

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ٩٨ البينة

(سورة البينة مدنية مختلف فيها وآياها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وإيرادهم بذلك العنوان للإشعار بعلّة مانسب إليهم من الوعد باتباع الحق فإن مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم وإيراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم (والمشركين) أى عبدة الأصنام وقرىء والمشركون عطفاً على الموصول (منفكين) أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على إنجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب بما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور فى كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء عن الشيء أن يرايه بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور
- * بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجازه (حتى تأتيتهم البينة) التى كانوا قد جعلوا لإتيانها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتاً للانفكاك والافتراق وإخلاف الوعد والتعبير عن إتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين
- ٢ أى تلك وقوله تعالى (رسول) بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للإيذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى (من الله) متعلق بمضمهر هو صفة لرسول مؤكداً لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى (يتلو) صفة أخرى له أو حال من الضمير فى متعلق الجار (صحفاً مطهرة) أى منزهة عن الباطل لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يمسّه غير المطهرين ونسبة تلاوتها إليه عليه

٩٨ البينة

فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴿٣﴾

٩٨ البينة

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

٩٨ البينة

وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

- السلام من حيث إن تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) صفة لصحفاً أو حال
 من ضميرها في مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعاً به على
 الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب)
 الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناباتهم ببيان أن ما نسب إليهم من الانفكاك
 لم يكن لاشتباه ما في الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية وهو
 السرفي وصفهم بإتياء الكتاب المنبيء عن كمال تمكّنهم من مطالعته والإحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام
 والأخبار التي من جملتها نعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيها سبق بما هو جار مجرى اسم
 الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأي المذكور في حكم فريق واحد
 عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الإخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق
 اعتباراً لاستقلال كل من فريق أهل الكتاب وإيداناً بأن انفكاكهم عن الرأي المذكور ليس بطريق
 الاتفاق على رأي آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) استثناء
 مفرغ من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في وقت من الأوقات إلا من بعد ما جاءتهم الحجّة الواضحة
 الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى
 وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله)
 جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أي والحال أنهم ما أمروا في كتابهم إلا لأجل أن يعبدوا الله وقيل
 اللام بمعنى أن أي إلا بأن يعبدوا الله ويعضده قراءة إلا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) أي جاعلين
 دينهم خالصاً له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين (حنفاء) مانلين عن جميع العقائد
 الزائغة إلى الإسلام (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) إن أريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة
 فالأمر ظاهر وإن أريد ما في شريعتنا فعني أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم
 بجميع أحكامها التي هما من جملتها (وذلك) إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله تعالى وبالإخلاص وإقامة
 الصلاة وإيتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته (دين القيمة) أي دين الملة
 القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا - إلى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ
شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾

٩٨ البينة

٩٨ البينة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

قوله - كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم إلى
مبعثه ويعدون أن ينفكوا عنه حيثئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب إلخ بيان لإخلاصهم الوعد وتعكيسهم الأمر بجمعهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل
حسباً وعدوه سبباً لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه
لا أفك عما أنا فيه حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقاً فيقول له واعظه لم تكن منفكاً عن الفسق حتى
توسر وما عكفت على الفسق إلا بعد اليسار وأنت خير بأن هذا إنما يتسنى بعد اللتياء التي على تقدير
أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل
وما أجمعوا على دينهم إلا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير أن يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن
ومنها من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا تأمل (إن الذين كفروا من أهل الكتاب
والمشركين في نار جهنم) بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين
لثلاثتهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم
ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون إليها يوم القيامة وإيراد الجملة الاسمية للإيدان بتحقيق مضمونها لاحالة
أو أنهم فيها الآن إما على تنزيل ملاستهم لما يوجبها منزلة ملاستهم لها وإما على أن ما هم فيه من
الكفر والمعاصي عين النار إلا أنها ظهرت في هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة
وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الأعراف (خالدين
فيها) حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي
تفاوت عذابهم في الكيفية فإن جهنم دركات وعذابها ألوان (أولئك) إشارة إليهم باعتبار اتصافهم
بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للإشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر أي أولئك
البعداء المذكورون (هم شر البرية) شر الخليقة أي أعمالاً وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين
فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاماً ومصيراً فيكون تأكيداً لفظاً حالهم وقرىء
بالهمزة على الأصل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لمخاض أحوال المؤمنين لإثبات بيان سوء
حال الكفرة جرياً على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب (أولئك) المنعوتون بما هو في
القاصية من الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة (هم خير البرية) وقرىء خيار البرية وهو جمع خير
نحو جيد وجياد.

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

٩٨ البينة

- (جزاؤهم) بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعة (عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظاهر فجرى الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياً ما كان فالمراد جريانها بغير أخدود (خالدين فيها * أبداً) متنعمين بفنون النعم الجسدية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن الترية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالإضافة وبما يزيد نعيمها وتأكيدهم بالآبود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتبع لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ذلك) أى ماذكر من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فإن الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتجة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والترية للإشعار بعلّة الخشية والتحذير من الاغترار بالترية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البينة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلاً .

٩٩ - سورة الزلزلة

(مدنية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٩ الزلزلة:

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①

٩٩ الزلزلة:

وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②

٩٩ الزلزلة:

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآ ③

٩٩ الزلزلة:

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④

(سورة الزلزلة مدنية مختلف فيها وآياتها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا زلزلت الأرض) أى حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره أو زلزالها الداخلى فى حين الإمكان وقرىء بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الأبنية فعلال بالفتح إلا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضاً مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل (وأخرجت الأرض أثقالها) أى مافى جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت وإظهار الأرض فى موقع الإضممار لزيادة التقرير أو للإيماء إلى تبدل الأرض غير الأرض أو لأن
- ٢ إخراج الأثقال حال بعض أجزائها (وقال الإنسان) أى كل فرد من أفرادها لما يدهمهم من الطامة التامة ويهرمهم من الداهية العامة (ماها) زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت مافىها من الأثقال استعظماً لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سمرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر إذا لم يكن مؤمناً بالبعث والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام
- ٣ والكافر بطريق التعجب (يومئذ) بدل من إذا وقوله تعالى (تحدث أخبارها) عامل فيهما ويجوز أن يكون إذا منتصباً بمضمر أى يوم إذ زلزلت الأرض تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها وإما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

٩٩ الزلزلة

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾

٩٩ الزلزلة

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾

٩٩ الزلزلة

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

٩٩ الزلزلة

- ظهرها وقرىء تنبيء أخبارها وقرىء من الأنباء (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب
إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل
تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى إليها
(يومئذ) أى يوم إذ يقع مذكر (يصدر الناس) من قبورهم إلى موقف الحساب (أشتاتاً) متفرقين
بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل
يصدرون عن الموقف أشتاتاً ذات اليمين إلى الجنة وذات الشمال إلى النار (ليروا أعمالهم) أى أجزية
أعمالهم خيراً كان أو شراً وقرىء ليروا بالفتح وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) (ومن ٨٧
يعمل مثقال ذرة شراً يره) تفصيل ليروا وقرىء يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع
الشمس من الحباء وأياً ما كان فعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر إمامشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة
بالسعداء والثانية بالأشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المحتجب عن
الكبائر مغفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يردده قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثوراً وأما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض
كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صفات المؤمن المحتجب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته
ومحبط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس
من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
وأما الكافر فيرد حسناته تحسراً ويعاقبه بسيئاته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزلزلة
أربع مرات كان كن قرأ القرآن كله والله أعلم .

١٠٠ — سورة العاديات

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٠ العاديات

وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا ①

١٠٠ العاديات

فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ②

١٠٠ العاديات

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③

١٠٠ العاديات

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④

١٠٠ العاديات

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤

(سورة العاديات مكية مختلف فيها وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى * (ضبحاً) مصدر منصوب إما بفعله المحذوف الواقع حالاً منها أى تضبح ضبحاً وهو صوت أنفسها عند عدوها أو بالعاديات فإن العدو مستلزم للضح كانه قيل والضاحيات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضاحيات (فالموريات قدحاً) الإجراء لإخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجه الثلاثة (فالمغيرات) أسند الإغارة التى هى مباغطة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر إليها وهى حال أهلها إيذاناً بأنها العمدة فى * إغارتهم (صبحاً) أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون
- ٢ عليهم صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل إذ المعنى واللاقى عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فبيجن بذلك الوقت (نقعاً) أى غباراً وتخصيص إثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر أن الإجراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل والله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى * فأظهرن به غباراً لأن التأثير فيه معنى الإظهار (فوسطن به) أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن * ملتبسات بالنقع (جمعاً) من جموع الأعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله [يا لهف زياة للحارث] صاحب فالغانم فالآيب [فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة

١٠٠ العاديات

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُ لَحَبِيبٌ خَلِيبٌ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

١٠٠ العاديات

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

١٠٠ العاديات

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

١٠٠ العاديات

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

- ٦ على الإيراء المترتب على العدو وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أى لكفور من كند النعمة كنوداً جواب القسم والمراد بالإنسان بعض أفرادہ . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهرأ فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة لإخباراً للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له بإغارتها على القوم ونعيأ على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران (ولأنه على ذلك)
- ٧ أى وإن الإنسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه (ولأنه لحب الخير)
- ٨ أى المال كما فى قوله تعالى إن ترك خيراً (لشديد) أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهاك عليه * يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقاً له ضابطاً وقيل الشديد البخيل أى أنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل بمسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماة إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيباً وقوله تعالى (أفلا يعلم إذ بعث ما فى القبور) الخ تهديد ووعيد والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل مايفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله إذا بعث من فى القبور من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء بمحتر وبحث وبحتر وبحث على بنائهم للفاعل (وحصل) أى جمع محصلاً أو ميز خيره من شره وقرىء وحصل مبنياً للفاعل وحصل مخففاً (ما فى الصدور) من الأسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلاً عن الأعمال الجليلة (إن ربهم) أى المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الإحياء الأول

١٠١ - سورة القارعة

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠١ القارعة

الْقَارِعَةُ ①

١٠١ القارعة

مَا الْقَارِعَةُ ②

١٠١ القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③

حيث التفت إلى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله ثم سواء ونفخ فيه * من روحه إيذاناً بصلاحياتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدها قبله كما أشير إليه هناك (بهم) بذواتهم * وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور (خبر) أي عالم بطواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبغي عنه تقييده بذلك اليوم وإلا فطلق عليه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبر قدماً عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السكك أن ربهم بهم يومئذ خبر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعاً .

(سورة القارعة مكية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهى فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوين سميت بها لأنها تفرع القلوب والأسماع بفنون الأفراع والأحوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوين والانكدار
- ٢ والانتشار والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة) على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفتخامة هنا هو كلمة ما لا القارعة أي أي شيء عجيب هي
- ٣ في الفتخامة والفضاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتحويل وقوله تعالى (وما أدراك ما القارعة) تأكيداً لهولها وفضاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها بحيث لا تكاد

١٠١ القارعة

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

١٠١ القارعة

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾

١٠١ القارعة

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾

تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس وهنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدري يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراككم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً للبند الأول أى وأى شيء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأى الكوفيين أى هو يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطايير إلى الداعي كتطايير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ما هي هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمرة يدل عليه القارعة أى تفرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطاييرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق بيد الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل الحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل يفسفها ربى فسفها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذى هو إسرأفيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعاً وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) الخ بيان لإجمالى لتحزب الناس إلى حزين وتنبه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة لكل والموازن إما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما إنه ميزان له لسان وكفتان لا يورن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهاراً

١٠١ القارعة

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

١٠١ القارعة

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾

١٠١ القارعة

فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ﴿٩﴾

١٠١ القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾

١٠١ القارعة

نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لا يتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان أي فن ترجحت مقادير حسناته (فهو في عيشة راضية) أي ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه) أي فإواه (هاوية) هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها . روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفاً وقيل إنها اسم الباب الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لأن أهلها يأوون إليها كما يأوى الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً والاول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أدراك ما هي) (نار حامية) فإنه تقرير لها بعد إهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القاريء حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لثلاثيها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجزئ إثباتها مع الوصل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة .

١٠٢ - سورة التكاثر
(مكية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٢ التكاثر

أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ①

١٠٢ التكاثر

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②

١٠٢ التكاثر

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④

١٠٢ التكاثر

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤

١٠٢ التكاثر

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥

(سورة التكاثر مكية مختلف فيها وآيها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها . روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف فى الإسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيداً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً فكثرتهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إن البغى إفنانا فى الجاهلية فعادونا بالآحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتهم بالآحياء
- ٢ (حتى زرتهم المقابر) أى حتى إذا استوعبتهم عددهم صرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكأ بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن تمتم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهكم من السعى لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرىء
- ٣ ألهاكم على الاستفهام التقريرى (كلا) ردع وتنبية على أن العاقل ينبغي أن لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة (سوف تعلمون) سوء مغبة ما أتم عليه إذا عاينتم عاقبته (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو فى القبر
- ٥ والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون ما بين أيديكم علم اليقين أى كعلمكم ما تسيقونونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى (لترؤن الجحيم) جواب
- ٦

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨

٧ قسم مضمراً أكد به له الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إيهامه تفخيماً (ثم لترونها) * المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) أى الرؤية التى هى النفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين ٨ (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الأجر كما قرأ ألف آية .

١٠٣ - سورة العصر

(مكية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٣ العصر

وَالْعَصْرِ ①

١٠٣ العصر

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ②

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ③ ١٠٣ العصر

(سورة العصر مكية وآياتها ثلاث)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة (إن الإنسان لفي خسر) أى خسران في متاجرهم ومساعيتهم ٢ وصرف أعمارهم في مباحيهم والتعريف للجنس والتذكير للتعظيم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ٣ فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيألفها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الذى لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسوله فى كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) أى عن المعاصى التى تشاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها أداؤها أو على ما يلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجها تحت التواصى بالحق لإبراز كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فإن المراد بالصبر ليس بمجرد حبس النفس عما تشوق إليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجليل والرضا به ظاهراً وباطناً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر .

١٠٤ - سورة الهمة

(مكية وهي تسع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٤ الهمة

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①

١٠٤ الهمة

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②

١٠٤ الهمة

يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③

١٠٤ الهمة

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④

(سورة الهمة مكية وآياتها تسع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة لمزة) وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرىء لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الأخنس بن شريق فإنه كان ضارياً بالغيبة والوقية وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنبه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب
- ٢ منه مثل ذنوبهم (الذي جمع مالا) بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرىء جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعده) وقيل معنى عدده جعله عدة لنواب الدهر وقرىء وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولاك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر من الانتصار والأعوان وقيل هو فعل ماض بفك الإدغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يعمل عمل من يظن أن ماله يقيه حياً والإظهار في موقع الإضمار
- ٣ لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومنه الأمانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وأنه هو الذي أخلد صاحبه في الحياة الأبدية والنعيم المقيم فأما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروى أن الأخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع (كلا) ردع له عن
- ٤

١٠٤ الهمة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾

١٠٤ الهمة

نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ﴿٦﴾

١٠٤ الهمة

الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتِدَةِ ﴿٧﴾

١٠٤ الهمة

إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾

١٠٤ الهمة

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى (لينذرن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعللة الردع أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة (فى الحطمة) أى فى النار التى شأنها أن تحطم وتكسر * كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى (وما أدراك ما الحطمة) لتحويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى (نار الله) خبر مبتدأ محذوف * والجملة بيان لشأن المسئول عنها أى هى نار الله (الموقدة) بأمر الله عز سلطانه وفى إضافتها إليه سبحانه * ووصفها بالايقاد من تحويل أمرها ما لا مزيد عليه (التى تطلع على الأفئدة) أى تعلو أو ساط القلوب * وتفشاها وتخصيها بالذكر لما أن الفؤاد أطف مافى الجسد وأشدّه تألماً بأذى يؤمسه أو لأنه محل العقائد الزائفة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة من أوصدت الباب وأصدته أى أطبقته (فى عمد ممددة) إما حال من الضمير المجرور فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدأ مضمرة أى هم فى عمد أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن تؤصده عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمدة استئنافاً فى استيثاق اللهم أجرنا منها يا خير مستجار وقرئ عمدة بضمين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه .

١٠٥ - سورة الفيل

(مكية هي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٥ الفيل

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

(سورة الفيل مكية وآياتها خمس)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بإنكار عدما وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أي ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للشهادة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتحويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك من الإراهاصات لما روى أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعدها فيها ليلاً فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقته من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقتها خلف ليهذ الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً وإثنا عشر فيلاً غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيراً سوداً وقيل خضرأً وقيل بيضاً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحصاة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآراؤه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق وقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما آتتها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه وقيل إن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه في شأنها فلما رآه أبرهة عظم في عينه وكان رجلاً وسيماً جسيماً وقيل هذا سيد قريش وصاحب غير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريرته ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين

١٠٥ الفيل

الرَّيْحَلُ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

١٠٥ الفيل

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

١٠٥ الفيل

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ ﴿٤﴾

١٠٥ الفيل

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

آياتك وعصمتك وشرفك في قديم الدهر لا تكلمني فيه أهلك عنه ذود أخذت لك فقال عبد المطلب أنارب الإبل وإن لايت ربأبحميه ثم رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله إنها لطيور غريبة ما هي نجدية ولا تهامية فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وقرىء ألم تر بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم وقوله تعالى (ألم يجعل كيدهم في تضليل) الخيان لإجمالي لما فعله الله تعالى بهم والهمزة ٢ للتقرير كاسبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية مابعد ما كأنه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل وتصيب وإبطال بأن دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) أى طوائف وجماعات ٣ جمع لبالة وهى الحزمة الكبيرة شبت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل أبابيل مثل عبايد وشمايط لا واحد لها (ترميمهم بحجارة) صفة لطيروا وقرىء يرميهم بالتذكير لأن الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار ٤ المعنى (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كأن سجيناً علم للديوان الذى يكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الإسجال وهو الإرسال (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع فيه الأكال وهو ٥ أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقى صفراً منه أو كتبت أكلته الدواب ورائته أشير إليه بأول أحواله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمنسوخ والله أعلم .

١٠٦ - سورة قريش

(مكية وهي أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٦ قريش

لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ①

١٠٦ قريش

إِلَّا لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ②

١٠٦ قريش

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③

١٠٦ قريش

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

(سورة قريش مكية وآياتها أربع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا يلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل لا يلاف الخ وقيل تقديره أعجبوا لا يلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى لجعلهم كعصف ما كول ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصد من الحبشة ليتسامع الناس فيتهيبوا لهم زيادة تهاب ويحترموا فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترأ عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيتأرون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاية بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والإيلاف من قولك آلفت المكان لإيلافا إذا ألفتة وقرئ لا يلاف قريش أى لمؤلفتهم وقيل يقال ألفتة ألفاً وإلافا وقرئ لا يلاف قريش وقرئ ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطلق إلا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كسايين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى (لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الأول ورحلة مفعول لا يلافهم وإفرادها مع أن المراد رحلتى الشتاء والصيف لأن الإلباس وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أولاً وإبدال هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ لا يلاف قريش لفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها (فليعبدوا رب هذا البيت) (الذي أطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيها بواسطة كونهم من جيرانه

١٠٧ - سورة الماعون

(مكية وهي سبع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٧ الماعون

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾

١٠٧ الماعون

فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾

١٠٧ الماعون

وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾

١٠٧ الماعون

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

(من جوع) شديد كانوا فيه قبلها وقيل أريد به القحط الذي أكلوا الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب القيل أو خوف التخلف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترأس سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها .

(سورة الماعون مكية مختلف فيها وآياتها سبع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذي يكذب بالدين) استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ رأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى (فذلك الذي يدع ٢
- اليتيم) جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالإسلام إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً ووضع اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار إليه موضع الضمير للإشعار بعلّة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو أبو جهل كان وصياً ليتيم فأتاه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً وقيل أبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بمصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومته وقرئ يدع اليتيم أى يتركه ويحفوه (ولا يحض) أى أهله وغيرهم من الموسرين ٣
- (على طعام المسكين) وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك مع القدرة ٤ عليه والفاء في قوله تعالى (فويل) الخ إما لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من

١٠٧ الماعون

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

١٠٧ الماعون

الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾

١٠٧ الماعون

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

- * عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل (للمصلين)
- ٦ (الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مباليين بها (الذين هم يراءون) أى يرون الناس أعمالهم
- ٧ ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) أى الزكاة أو ما يتعاور عادة فإن عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الإسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك وإما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك إلى بيان أن لهم قبائح آخر غير ما ذكر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له إن كان الزكاة مؤدياً .

١٠٨ - سورة الكوثر

(مكية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٨ الكوثر

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾

١٠٨ الكوثر

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾

١٠٨ الكوثر

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

(سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أعطيناك) وقرأ انطيناك (الكوثر) أى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هونهر فى الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر فى الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى فى صفته أنه أحلى من العسل وأشد يياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافظاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظلم من شرب منه أبداً أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فإن ناساً يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو وأولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن
- ٢ الجاوى لخير الدنيا والدين والفاء فى قوله تعالى (فصل لربك) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطائه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها أحداً من العالمين مستوجب للامور به أى استيجاب أى قدم على الصلاة لربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا يضاهاها نعمة خالصاً لوجهه خلاف الساهين عنها المرانين فيها أداء لحقوق شكرها فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافاً لمن يدعمهم ويمنع عنهم الماعون وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه فى التكبير إلى نحره هو المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما استقبال القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وأبى الأحوص (إن شئت) أى مبغضك كائننا من كان (هو الأبر) الذى لا عقب له
- ٣

١٠٩ - سورة الكافرون (مكية وهي ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٩ الكافرون

قُلْ يَتَّيِبَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾

١٠٩ الكافرون

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾

حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة لك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وأياً ما كان فلا ريب وفي عموم الحكم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قرب به العباد في يوم النحر .

(سورة الكافرون مكية وآياتها ست)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل يا أيها الكافرون) هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الإيمان أبداً . روى أن رهضاً من عتاة قريش قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا وتبع دينك تعبد آلهتنا ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملائكة من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فآيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أي فيما يستقبل لأن لا تدخل غالباً إلا على مضارع في الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أقبل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعبد مني عبادة صنم في الجاهلية ه فكيف ترجى مني في الإسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالاً كما أن الأولين لنفيها استقبالا وإنما لم يقل ما عبدت

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

١٠٩ الكافرون

ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى وإيثار ما في أعبد على من لأن المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل إن ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الأوليان بمعنى الذى والآخران مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد تأكيداً تأكيداً للمذكور أولاً وقوله تعالى (لَكُمْ دِينُكُمْ) تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى ٦ (ولى دين) تقرير لقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذى هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لى أيضاً كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أما نيكم الفارغة فإن ذلك المحالات وأن دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه إلى الحصول لكم أيضاً لأنكم علقتموه بالمحال الذى هو عبادتى لألهتمكم أو استلأى إياها ولأن ما وعدتموه عين الإشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر لإفراد حتماً ويجوز أن يكون هذا تقريراً لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا منى ولم تتبعوني فدعوني كفافاً ولا تدعوني إلى الشرك فتأمل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر .

١٠٧ — سورة النصر

(مدنية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٠ النصر

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

١١٠ النصر

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

(سورة النصر مدنية وآياتها ثلاث)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا جاء نصر الله) أى إغاثة تعالى وإظهاره إياك على عدوك (والفتح) أى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فإن فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وإمامها جعل بحيته بمنزلة بحى سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتسييح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالبحى. للإيدان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنهما على جناح الوصول إليه عليه السلام عن قريب. روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه الأكثر وقيل فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة إذا حينئذ باعتبار أن بعض ما فى حيزها أعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فياء ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الإسلام ثم خرج إلى هوازن (ورأيت الناس) أى أبصرتهم أو علمتهم (يدخلون فى دين الله) أى ملة الإسلام التى لادين يضاب إليه تعالى غيرها والجملة على الأول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى (أفواجا) حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كأهل مكة والطائفت واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين. روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الإسلام أفواجا من غير قتال وقرىء فتح الله والنصر

- وقرىء يدخلون على البناء للفعول: (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامداً له أو فتعجب لتيسير ٣
الله تعالى ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمة المحترم واحمده على جميل صنعه هذا
على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظماً لنعمه
لا بإحداث التعجب لما ذكر فإنه لما يناسب حالة الفتح أو فاذا ذكره مسبحاً حامداً زيادة في عبادته والثناء
عليه لزيادة إنعامه عليك أو فصل له حامداً على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى
ثمان ركعات أو فزعه عما يقوله الظلمة حامداً له على أن صدق وعده أو فأن على الله تعالى بصفات
الجلال حامداً له على صفات الإكرام (واستغفره) هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستعظماً
لحقوق الله تعالى واستدراكاً لما فرط منك من ترك الأولى . عن عائشة رضى الله عنها إنه كان عليه
الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك وعنه عليه
السلام إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه
استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعتيت إليك نفسك قال عليه السلام إنها
لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً وقيل إن ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال
عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علماً كثيراً ولعل ذلك للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر
الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إن عبداً خيرته الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختر لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضى الله عنه
فقال فدينك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه إنه
نعتيت إلى نفسى فبككت فقال لا تبكى فإنك أول أهلى لحوقاً بى وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن هذه
السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لأمتة (إنه كان تواباً) منذ خلق المكلفين أى
مبالغاً فى قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقفاً للقبول . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النصر أعطى من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة .

١١١ - سورة المسد

(مكية وهي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١١ المسد

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

١١١ المسد

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

(سورة المسد مكية وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبت) أى هلكت (يدا أبي لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب وإيثار التباب على الهلاك وإسناده إلى يديه لما روى لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذروهم فقال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجراً ليرميه عليه السلام به (وتب) أى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملة كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ومعنى تب وكان ذلك وحصل كقول من قال [جزانى جزاء الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل] ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول إخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تزاول غالباً بالأيدي والثاني إخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني إخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنمياً ولاشتهاره بها ولشكراة ذكر اسمه القبيح وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرئ أبو لهب بسكوني الهاء (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى لم يغن عنه حين حل به التباب على أن مانافية أو أى شيء أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الإنكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيد في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم أو عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخى حقاً فأنا أفتدى منه نفسي بمالى وولدى فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ماتمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشام بين العير المكتشفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثاً حتى أبتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان

١١١ المسد

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

١١١ المسد

وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾

١١١ المسد

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

- الامر كما أخبر به القرآن (سيعلى) بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد. والسين ٣ لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة (ناراً ذات لهب)
- أى ناراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصاً فى أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين التقيضين كما هو المشهور فإن صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إجمالاً لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان بعدم إيمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سيعلى لمكان الفصل بالمفعول وهى أم جميل ٤ بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتشترها بالليل فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشى بالنيمة ويقال لمن يمشى بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النار (حمالة الحطب) بالنصب
 - على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة ما لها كاتب تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فغيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتماً وقرىء بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرىء حمالة للحطب بالتثنية نصباً ورفعا وقرىء مريته بالتصغير للتحقير (فى جيدها حبل من مسد)
 - جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة الحالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيعلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يقتل من الحبال فتسلا شديداً من ليف المقل وقيل من أى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبل وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الخطابون تخسيساً بحالها وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن لتمتع من ذلك ويتمتع بعض بعلمها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الحمدانى كات أم جميل تأتى كل يوم يابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فيناهى ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتسترج فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بجبلها . عن النبي صلى الله عليه من قرأ سورة المسد تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة .

١١٢ - سورة الاخلاص

(مكية وهى أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٢ الاخلاص

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①

١١٢ الاخلاص

اللَّهُ الصَّمَدُ ②

(سورة الإخلاص مكية مختلف فيها وآياتها أربع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل هو الله أحد) الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيدان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وإليه يشير كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبى عنه اسمه الذى أصله القصد أطلق على المعقول مبالغة وحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الربط لأنها عين الشأن الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على نخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه عما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا كهمة ما يلزم النفي ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فاما منكم من أحد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود الرأس غيركم فإن أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت إحداها تخفيفاً وقال ثعلب إن أحد لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد وإثنان كما يقال واحد وإثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أى الذى سألت عنه هو الله إذ روى أن قريشاً قالوا صف لنا ربك الذى تدعوننا إليه وانفسه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد مبتدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو
- ٢ وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى (الله الصمد) مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده أى هو السيد المصمود إليه فى الخوانج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج إليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعزية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بين أولاً ألوهيته عز

١١٢ الإخلاص

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٤﴾

١١٢ الإخلاص

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾

وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إلى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقليل (لم يلد) تنصيصاً على إبطال زعم ٣ المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي أى لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانس شئ ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له صاحبة ولا يفتر إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه (ولم يولد) أى لم يصدر عن شئ لاستحالة * نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعبود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه (ولم يكن له كفواً أحد) ٤ أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبراً لا صلة ويكون كفواً حالاً من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلهراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرئ بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولا نظواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشنات المعارف الإلهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد أى ما خلقت إلا لتسكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة . وعنه عليه السلام أنه سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقليل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة .

١١٣ - سورة الفلق

(مكية وهي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٣ الفلق

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾

١١٣ الفلق

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾

١١٣ الفلق

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

(سورة الفلق مكية مختلف فيها وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرق عدة كريمة بإعادة العائد بما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائد ما يخافه كما قيل فلا إذ لا ريب العائد في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج إلى التنبيه عليها (من شر ما خلق) أى ٢ من شر ما خلقه من الثقيلين وغيرهم كأننا ما كان من ذوات العلبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره بما بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مداراً لإضافة الرب إلى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتعة للكون والفساد ٣ وأما عالم الأمر فهو خير محض منزّه عن شوائب الشر بالمرّة وقوله تعالى (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندارجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعادة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصل الغسق سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل للملازمة له بحدوثه فيه وتذكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراد ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى (إذا وقب)

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

١١٣ الفلق

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

١١٣ الفلق

أى دخل ظلامه فى كل شىء لأن حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر إذا امتلأ ووقبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ييدى فأشار إلى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا الغاسق إذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شىء يترى الإنسان ووقبه هجومه (ومن شر النفاثات فى العقد) أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقد عقداً فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرىء النفاثات كما قرىء النفثات بغير ألف وتعريفها إما للعهد أو للإيدان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحصن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهما أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فأعطاهما لليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودى وبناته وهن النفاثات فى العقد فدفنها فى بئر أريس فرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل صلى الله عليه وسلم علياً أكرم الله وجهه والزبير وعماراً رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوثة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعا وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبرة فجأوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عنه تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال فقالوا يارسول الله أفلا تقتل الخبيث فقال صلى الله عليه وسلم أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شىء قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو الله تعالى فيغضب الله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد أبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها (ومن شر حاسد إذا حسد) أى إذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الإضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحسد لا غيره . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى .

١١٤ - سورة الناس

(مكية وهي ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٤ الناس

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①

١١٤ الناس

مَلِكِ النَّاسِ ②

١١٤ الناس

إِلَهِ النَّاسِ ③

١١٤ الناس

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④

(سورة الناس مكية مختلف فيها وآياتها ست)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ) وقرىء في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام (رب الناس) أى مالك أمورهم ومربيهم يافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى (ملك الناس) عطف بيان جىء به لبيان أن تريته تعالى لإياهم ليست بطريق تريية سائر الملاك لما تحت أيديهم من ممالكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى (إله الناس) فإنه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياساتهم والتولى لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم لإحياء وإماتة وإيجاداً وإعداداً وتخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته للإرشاد إلى منهج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالإعاذة فإن توسل العائد بربه وانتسابه إليه تعالى بالربوبية والملوكية والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من أفراد من دواعى مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم فى التخصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى لإنجائهم من ملكة الشيطان وتسليطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فن جعل مدار تخصيص الإضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقها وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف إليه لزيد الكشف والتقدير والتشريف والإضافة (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى

الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٦٠﴾

١١٤ الناس

مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦١﴾

١١٤ الناس

الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة (الخناس) *
الذي عادته أن يخنس أى يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه (الذي يوسوس في صدور الناس) إذا غفلوا
عن ذكره تعالى ومحل الموصول إما الجر على الوصف وإما الرفع أو النصب على النзм (من الجنة والناس) ٦
بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جنى وإنسى كما قال عز وجل شياطين الإنس والجن أو متعلق
بـيوسوس أى يوسوس في صدرهم من جهة الجن ومن جهة الإنس وقد جوز أن يكون ياناً للناس على
أنه يطلق على الجن أيضاً حسب إطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد
بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فإن
كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى إلا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع
رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لأداء حقوق شكره .

﴿ تم بحمد الله وعونه هذا التفسير الجليل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴾

خاتمة المؤلف

قال العبد الذليل متضرعاً إلى ربه الجليل : اللهم يا ولي العصمة والإرشاد ، وهادي الغواة إلى سنن الرشاد ، باري البرية مالك الرقاب ، عليك توكلى وإليك متاب ، أنت المغيث لكل حائر ملهوف ، والمجير من كل هائل مخوف ، ألوذ بحرمك المأمون ، من غوائل ريب المنون ، وألتجئ إلى حرزك الحريز ، وأوى إلى ركنك العزيز ، وأسألك من خزائن برك المخزون ، في مكان سر كالمكنون ، خير ما جرى به قلم التكوين ، من أمور الدنيا والدين ، وأعوذ بك من فنون الفتن والشُرور ، لاسيما الاطمئنان بدار الغرور ، والاغترار بنعيمها وزهرتها ، والافتتان بزخارفها وزينتها ، فأعذني بحمايتك ، وأعني بعنايتك ، وأفض على من شوارق الأنوار الربانية ، وبوارق الآثار السبحانية ، ما يخلصني من العوائق الظلمانية ، ويجردني من العلائق الجسمانية ، وهذب نفسي الآتية من دنس الطبائع والأخلاق ، ونور قلبي القاسي بلوامع الإشراف ، ليستعد للعبور على سرائر الأنس ، وينتهي للحضور في حظائر القدس ، وثبتني على مناهج الحق والهدى ، وأرشدني إلى مسالك البر والتقى ، واجعل أعز مرامي ابتغاء رضاك ، وأشرف أيامي يوم لقاءك ، يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقاً فريقاً ، واحشرنى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

﴿ قام بمراجعة وتصحيح هذا التفسير : فضيلة الأستاذ الدكتور (حسن أحمد مرعي) الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر . وفضيلة الأستاذ الشيخ (محمد الصادق قحاي) المفتش العام بالمعاهد الأزهرية ، وعضو لجنة مراجعة المصاحف بمشيخة الأزهر الشريف ﴾ .

فهرست

الجزء التاسع من تفسير قاضى القضاة أبي السعود

صفحة	سورة	صفحة	سورة
١٤٣	الأعلى	٢	المالك
١٤٨	الفاشية	١١	القلم
١٥٣	الفجر	٢١	الحاقة
١٦٠	البلد	٢٩	المعارج
١٦٣	الشمس	٣٦	نوح
١٦٦	الليل	٤٢	الجن
١٦٩	الضحى	٤٩	الزمل
١٧٢	الشرح	٥٤	المدثر
١٧٤	التين	٦٤	القيامة
١٧٧	العلق	٧٠	الإنسان
١٨٢	القدر	٧٧	المرسلات
١٨٤	البينة	٨٤	النبأ
١٨٨	الزلزلة	٩٥	النازعات
١٩٠	العاديات	١٠٧	عبس
١٩٢	القارعة	١١٤	التكوير
١٩٥	التكاثر	١٢٠	الانفطار
١٩٧	العصر	١٢٤	المطففين
١٩٨	الهمزة	١٣١	الانشقاق
٢٠٠	الفيل	١٣٥	البروج
٢٠٢	قريش	١٤٠	الطارق

صفحة	سورة	صفحة	سورة
٢١٢	الإخلاص	٢٠٣	الماعون
٢١٤	الفلق	٢٠٥	الكوثر
٢١٦	الناس	٢٠٦	الكافرون
٢١٨	الحاتمة	٢٠٨	النصر
(تم الفهرست)		٢١٠	المسد